الجمهـــوريـــة الجزائرية الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــي و البحث العلـــمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمـــســـان -
كلية الآداب و اللغات
قسم لغة و أدب عربي
تخصص : أدب حديث و معاصر

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

الموسومة بـ:

الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية و هوية الانتماء

من إعداد الطالبة

سليماني فاطمة

تحت إشراف الأستاذ المحترم

أ.د. سعيدي محمد

أعضاء اللجنة المناقشة :

أ.د عبد العالي بشير	أستاذ التعليـم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د سعيدي محمد	أستاذ التعليـم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د دكار أحمد	أستاذ التعليـم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
د مهداوي محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. بوشفرة نادية	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مستغانم	عضوا

السنة الجامعية: 2011-2012

الإهداء

اللهم لك الحمد اللهم صلي على سيدنا محمد، ، عليه أزكى الصلاة أهدي

هذا العمل المتواضع :

إلى أغلى ما عندي في الوجود : أمي وأبي

إلى إخوتي وأخواني

إلى زملائي وزميلاتي

وإلى كل من عرفتهم طوال مشوار حياتي

فاطمة

كلمة شكر

نحمد الله ونشكره على نعمة العقل والصحة
والتوفيق التي لا تكون إلا منه، ونتقدم بالشكر
والتقدير إلى الدكتور المشرف سعيد محمد
على نصائحه القيمة وتوجيهاته الحكيمة التي أنارت
لنا دروب هذا البحث، و إلى كل أعضاء لجنة
المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث المتواضع
وإثرائه ملاحظاتهم وتقويمه بتوجيهاتهم
وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد
في إنجاز هذا العمل ولو بكلمة

فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مـــــــــــقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب الخلق الطاهر ، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه و من ولاه إلى يوم الدين .

تتربع الرواية الجزائرية على مكانة مرموقة ، و تحمل قضايا متشعبة ، و هي منذ طور تكوينها تحمل صوت الأديب و آلام الشعوب التي لاطالما كانت من الإستعمار الأجنبي ، الذي عمل على طمس هويتها ، و بهذا ذاع صيت الرواية الجزائرية و بلغ كل الأقطار العربية . و مما زاد في شهرتها أنَها ترعرعت على أيدي روائيين كبار و عظماء ، أمثال عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار ، و رشيد بوجدرة ، و واسيني الأعرج و غيرهم .

كما استطاعت أن تفرض وجودها ضمن أهم الفنون الأدبية الأخرى في العالم العربي ، و هنا راجع إلى استعابها للأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي ، و كذلك لإرتباطها بالتحولات المتعلقة بالجوانب الإجتماعية و السياسية و الثقافية و الإقتصادية .

و بما أنَ الكاتب أو الروائي يعيش في هاته التحولات فإنَه سينقلها في كتاباته و ابداعاته، حيث ساهم العديد من الروائيين الجزائريين في إثراء هذا الفن "الرواية" و ذلك من خلال كتاباتهم المتعددة و المتنوعة ، إذ لعب كل من عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار و أحلام مستغانمي دورا هاما في هذا المجال و ذلك مما أنتجوه من روايات لقيت إقبال كبار المثقفين و النقاد و الذي تناولوها بالنقد و التحليل .

ثمَ إن كل مضمون لا بد و أن يفرض شكلا خاصا به ، و الشخصية مهما اختلفت و تنوعت فإنَها مضمون يفرض شكله الخاص . و هذا الأمر ستتضاعف مسؤوليته إن كان المضمون منجزا في التاريخ ، و على الأديب أن يتعامل معه ضمن هذا المعطى ، فيتمَ اظهار الشخصية التاريخية التي تتحول عند توظيفها داخل النص السردي حيث لا يقتصر دورها على

الجانب الدلالي فقط ، بل تساهم في الشكل الجمالي للنص من خلال التركيز على كيفية توظيف الشخصيات التاريخية في المقاطع السردية المختلفة و علاقتها مع العناصر الأخرى المشتركة معها في بنية النص ، سواء أكانت أحداثا أم شخصيات أخرى لمعرفة طرق توظيف الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية .

وإذا كانت دوافع البحث العلمي قد فرضت بحثنا هذا ، فإن من وراء تلك الدواعي أسبابا أخرى تدفع الفرد أن يسلك هذا الطريق من خلال تلك البحوث العلمية الثقافية ، التي تغذي فكره و تساعده في تشكيل موهبته .و من هذا المنطلق ارتأيت أن تكون دراستي " للشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية و هويته الانتماء ".

أما أسباب إختياري للروايات ، فيعود إلى اهتمامي بالرواية العربية و مدى تجسيد ظاهرة هذا التوظيف و كيفية التعامل مع النص من خلال الشخصيات المختلفة ، و قد اخترت نموذج الدراسة بعد صعوبة لتعدد الروايات و اعتمدت النصوص التالية : "الجازية و الدراويش " لعبد الحميد بن هدوقة ، و " فوض الحواس " و " ذاكرة الجسد " و " عابر سرير " لأحلام مستغانمي ،" و الشمعة و الدهاليز " و " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " و " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " لطاهر وطار .

تبحث الدراسة في آلية التعامل مع الشخصية التاريخية في العمل الروائي من حيث نموها و تسطيحها ، حيث أنَ الشخصية التاريخية شخصية مثبتة يصعب تحميلها بأكثر مما أسنده إليها التاريخ ، إذ لا بد من أسباب تدفع بالروائيين إلى توظيف التاريخ و تسخيره في أعمالهم الروائية ضمن إعادة صياغة التاريخ فنيا ، و من ثم كشف المسكوت عنه ، أو امقارنة ما كان في الماضي و ما يكون الآن .

وقد حاولت الإستفادة من المنهج الوصفي التحليلي في دراستي ، للوقوف على تجليات توظيف الشخصيات،الذي ساعدني على دراسة الروايات ، و إبداء رأيي في ما جاء فيها ، راجية أن أكون قد وفقت بعض التوفيق في الكشف عن جانب من جوانب الشخصية الروائية ، و قد قامت إشكالية هذا البحث على سند يعتمد التساؤل لتحقيق الإطار النظري و التطبيقي للموضوع ، وفق حوار يتكىء على جملة من الأسئلة منها :

- ما مدى توظيف الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية ؟
- ما الشخصيات الفاعلة و المرجعية في الخطاب ؟

أما خطة البحث فقد وجدت صعوبة في وضعها ، و فضلت اعتماد أنواع الشخصيات لدراسة الأنواع الموظفة ، و بناء عليه قسمت البحث إلى ثلاثة فصول و مقدمة و مدخل و خاتمة .

تناولت في المدخل مفهوم الشخصية ، بإعطاء صورة عن مفهوم الشخصية في اللغة و عند علماء النفس و علماء الإجتماع مع تعاريف لبعضهم ، ثمَ مفهومها في الدراسات المعاصرة خاصة عند " فلادمير بروب " " تودروف " مع التركيز على مقترحات فيليب هامون و الإشارة إلى تصنيف الشخصيات.

خصصت الفصل الأول من البحث ، لدراسة التاريخ و الرواية من خلال مبحثين ، المبحث الأول تعرضت إلى علاقة الرواية بالتاريخ، حين اتخذت الرواية العربية كتابات ذات طابع تعليمي ، واعتمدت الوعظ و الإرشاد ، ومع قدوم النصف الأول من القرن العشرين بدأ توظيف التاريخ يتسرَب إلى الكتابة الروائية بشكل أوضح ، متأثرين بحكايات " ألف ليلة و ليلة " . فالبدايات الأولى للرواية لم تقف عند حد ، بل اجتهد الروائيون في ربط أعمالهم بالواقع الذي برز فيه صوره المختلفة المعبَرة عن جوانب عديدة من المجتمع. و الأدب الجزائري يشبه كل

حديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئته الوطنية ، فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف و المشكلات التاريخية و الفكرية التي عاشها الأدب العربي، بحيث و صلت الكتابة الروائية إلى ظاهرة توظيف التاريخ و تمتد أحيانا إلى التراث العربي الإسلامي، حيث الدين و التاريخ الإسلامي يحضران في المقال الأول وذلك كان هو ميدان الروائي الجزائري الذي خلق منه نماذج روائية يحاول من خلالها أن يعالج أفكارا و قضايا حساسة ، و صراعا بين القديم و الجديد .ومن هنا نتج لدى الروائي ، احساس قوي بكثافة هذا الواقع و الذي من سماته ، انبهار الفرد الجزائري بماضي الأجداد المشرقة ، فانفجرت العملية الإبداعية لديه ، التي دفعته إلى أن يلجأ إلى الشخصية الرمزية ، التي أصبحت علامة بارزة في طريق بناء معمار روائي أصيل ، ترقى به الرواية الجزائرية إلى مصاف النماذج العربية و العالمية. والنص الروائي إذ يستدعي هذه الشخصية التاريخية فإنه يستدعيها لتحقيق أبعاد جمالية من استخدام هذه المرجعية في فهم متناقضات الحياة و استلهام قصتها.

أما المبحث الثاني تعرضت لعلاقة الكاتب بالتاريخ ، فالمبدع لا يستطيع أن يبدع من الفراغ، و إنَما ثمَة مجموعة من المنطلقات يرتكز عليها مثل اللغة و الأفكار و العادات و التقاليد و التراث بصفة عامة، لأنَ الأديب يستفيد من النصوص الإبداعية من غيره كما يقوم بتوظيف الشخصيات التاريخية و الواقعية و الفنية و غيرها، ليس سبيل التكرار أو الإعادة ، و إنَما لإعطائها أبعادا دلالية و جمالية جديدة تخدم فكرة و موقف المؤلف ،و في هذا الإطار كثير من كتاب الرواية وظَفوا الشخصيات التاريخية و الأدبية و الفنية في النصوص السردية مضيفا عليها خياله و أفكاره و رؤاه الفنية و الثقافية. والطاهر وطار أحد الأصوات المتميزة في مجال الرواية العربية وتوظيفه للشخصيات ،مستهدفا الكشف عن الجوانب المشرقة في هذا التراث والتأصيل لفنون الأدب الحديثة، فكان التراث المحلي هو الغالب، و كانت حرب التحرير هي

الصورة الأولى التي ترتسم في الأذهان. ثم انتقلت الكتابة الروائية لتطال التراث العربي الإسلامي حاولت من خلاله الرواية الجزائرية تقريب الماضي بالحاضر ، وذلك بإيصال أفكار الروائي للقارىء عن طريق الكتابة الروائية ، وخاصة الكتاب الجزائريين أمثال أحلام مستغانمي وذلك لما يقدمونه من مضامين ، ونظرا لطبيعة المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية ، فقد أعادت بعث عناصر تراثية بارزة في تاريخ الأداب العالمية، كما عرفت الرواية الجزائرية الأسطورة بشكل موسع و يرجع الفضل في ذلك إلى الكتاب الروائيين الجزائريين، أمثال عبد الحميد بن هدوقة الذي ساهم في اثراء الرواية الجزائرية بالأسطورة التي تزيد من عمق الدلالة و الإيحاء كما يضفي عليها الطابع الفني .

في الفصل الثاني تناولت الشخصية السياسية و الدينية ، حيث بينت الشخصيات الفاعلة في الروايات ، في المبحث الأول تناولت الشخصية التاريخية سواء كانت سياسية أو دينية ، أولا الجازية الشخصية التاريخية و الأسطورية من خلال رواية" الجازية و الدراويش" لعبد الحميد بن هدوقة. وبما أنهَ ركَز على الأسطورة حتى يعمق الدلالة الرمزية أكثر ، فإنَه قد أحاطها بأجواء وأحداث لشد انتباه القارىء ، و بذلك تكون الشخصية قد نالت لدى الروائيين الجزائريين اهتماما كبيرا ، خاصة حول المضامين التي كانت تحملها ، كما اهتمت بإعطائها ، أبعادا عميقة في الدلالة و الرمز . ثانيا شخصية خالد بن طوبال التي كانت بالنسبة إلى أحلام مستغانمي شخصية روائية تنتمي إلى الفئات الثلاث حسب تصنيف هامون السيميولوجي.أما ثالثا الشخصية السياسية و الدينية الولي الطاهر،التيَ قدَمها لنا المؤلف في روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" على أنَها الشخصية الفاعلة، حيث نتعرف على الولي الطاهر أولا و من خلاله نتعرف على الشخصيات الأخرىو بلارة هاته الشخصية التاريخيةو الدينية هي جزء

من الحدث، استدعاها أو وظَفها الطاهر وطار في روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، فكانت تابعة للشخصية الرئيسية و مرآة لها ،أي للولي الطاهر.

و المبحث الثاني تعرضت للشخصية الثقافية من خلال عدد من الروايات ، أولا " عبد الرحيم فقراء" الشخصية الفاعلة في رواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"، الشخصية الإعلامية التي تحضر في كل مكان ،قد تمَ توظيفه بطريقة ذكيَة من طرف الكاتب، فمن خلاله حاول أن يعبَر عن آراءه و أفكاره و ذلك بتمريرها عبر هذا الإسم من دون أن تظهر لنا تتدخَل شخصيته بشكل واضح . والشخصية الثانية هي شخصية الشاعر في رواية" الشمعة و الدهاليز" للروائي طاهر وطار ، الشخصية المركزية في الرواية، شاعر و عالم اجتماع البطل الذي أصبح معروفا فيما بعد ب (هارون الرشيد) ،لا يكف عن تدعيم أحاديثه و تداعياته بحكم المتصوف و أقوال المعتزلة و أقوال حمدان قرمط ، وأبو ذر الغفاري.

خصصت الفصل الثالث للشخصيات المرجعية في الخطاب السردي ،أولا شخصية خالد بن الوليد شخصية تاريخية إسلامية بطولية استدعها الطاهر وطار من خلال حادثة مقتل مالك بن نويرة من طرف خالد بن الوليد، فهو لم يستحضر الخطاب التاريخي كما هو ، و إنَما انطلق منه ليكتب روايته محاولا البحث عن جذور الأمة الجزائرية بل العربية الإسلامية ككل . ثانيا شخصية هارون الرشيد ، يقتحم الروائي التاريخ، ليوظف شخصية هارون الرشيد ، يسعى من خلالها إلى التعبير عن الأوضاع المستقبلية التي تعيشها الجزائر ، هذه الشخصية الدينية و التاريخية التي تشكل الهاجس المركزي في المتخيل السردي ، فهارون الرشيد في أحداث الرواية وفي عزلته ((اسلامي ، ملحد ، عميل أجنبي ، متآمر على فرنسا ، عاهر و مجنون ..)) . ثالثا مالك بن نويرة الذي كان يدَعي الإسلام في حياة الرسول –صلى الله عليه و سلم– لكن بعد وفاته ارتدَ ، وهذا الذي دفع بخالد بن الوليد إلى قتله . كمايوظَف شخصية تاريخية و

هي شخصية " بلارة " التي أوقفت الحرب القائمة بين " بني مالك الناصر" وابن عمَه"تميم بن المعز" بقبولها الزواج مع المالك الناصر من أجل حقن الدَماء .ورابعا شخصية عمر بن الخطاب و هو صحابي و قائد محارب ، اتَسم بالقوَة حتَى أنَه كنَي بعمر الفاروق ، لقد أدرج الكاتب هذه الشخصية من خلال حديثه عن موقفه ، حيث أمر بقتل خالد بن الوليد قصاصا لأنَه تسَرع في قتل مالك بن نويرة في حين رأى أبو بكر الصديق –رضي الله عنه – بأنَ خالد قد اجتهد وأخطأ فله أجر الإجتهاد. خامسا شخصية الأمير عبد القادر ، إنَ توظيف هذه الشخصية في مسار النص الروائي كون مقاومة الأمير عبد القادر منارة في تاريخ الجزائر الحديث، فهي من المرجعيات التي يستلهم فيها الجزائري أصالته واعتزازه ،أيضا إشارة قوية إلى تعلق الجزائري بدينه، فعندما يتعلق الأمر بالرواية في الجزائر ، فإنَ توظيف الدين لم يتخلص من النبرة السياسية وخاصة عند "الطاهر وطار" الذي حرص في أعماله على تجسيد الصراع السياسي الحاصل في الواقع ، وردت أسماء أخرى في مواقع مختلفة "طارق بن زياد، موسى بن نصير، خالد بن الوليد، أبوذرالغفاري " ،" عثمان بن عفان، معاوية بن أبي سفيان، عمر بن العاص ،طلحة و الزبير بن العوام ،عمر بن الخطاب" ،" هارون الرشيد" .سادسا الشخصيةالتاريخيةو السياسية ماسينيسا أوردتها الكاتبة أحلام مستغانمي في ثلاثيتها و خاصة في قواض الحواس كما ذكرت كليوباترا .،عاشرا الشخصية التاريخيةالخيزران في رواية "الشمعة و الدهاليز " حين تعرَف الشاعر و الأستاذ الجامعي على شخصية الفتاة زهيرة و التي وردت باسم الخيزران في مواقع سردية أخرى ، كما ورد الشاعر باسم هارون الرشيد في مواقع أخرى من الرواية. والشخصية التاريخية الأسطورية الجازية التي وظفت في رواية "الجازية و الدراويش " للروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقةهاته الشخصية الفاعلة و المرجعية ، وهي

عبارة عن عمل فنَي جريء يجمع بين سمات الرواية السياسية المعاصرة و الأسطورة الشعبية القديمة ، بين الواقع و الأسطورة.

و المبحث الثاني تناولت الشخصية الثقافية سواء كانت فكرية أو أدبية ، أولا محمد العيد آل خليفة هذه الشخصية الفكرية ذكرت في رواية "الشمعة و الدهاليز" على لسان الشاعر كما ورد ذكر حافظ ابراهيم ومعروف الرصافي،و امرىء القيس و كعب بن زهير ، و المتنبي و أبا فراس الحمداني. فالشاعر يتحين الفرص لإيرادها سواء كانت ثقافية عربية إسلامية أو غير عربية، فهو في كل لقاء مع الشخصيات الأخرى يدرج ضمن حديثه إشارة إليها و كثيرا ما يعمد إلى ذكرها مجموعة دفعة واحدة.

وثانيا شخصية مالك حداد التي أهدت أحلام مستغانمي روايتها "ذاكرة الجسد " إليه ،وشخصية " ميشيما " الياباني الذي انتحر استنكارا لهزيمة اليابان على يد أمريكا ، وانتحار خليل حاوي الشاعر اللبناني لحصار بيروت من قبل إسرائيل عام 1982 ،لأنه لا يريد أن يقاسم الاسرائليين هواء وطنه ، فكثيرا ماعمد الروائيون إلى سرد أقوال الشخصيات الأدبية ، ولا سيما تلك الأقوال الشهيرة التي تحتل حيَزا كبيرا عند القراء وهذا يظهر في ثلاثية أحلام مستغانمي التي جاءت مليئة بالشخصيات الأدبية و الفكرية الغربية الموظفة ببراعة منها قول أندري جيد. كما استدعت الرواية أكثر من شخصية سواء كانت عربية أو غير عربية عظيمة تاريخية وفلسفية كا : بودلير ، هنري ميشو ، رولان بارث ، اندريه جيد ، بوخريص شانيل ، كليو باترا نابليون جوزيفين ...و عربية مثل : محمود درويش ، جميلة بوحيرد ، جبرا خليل جبرا الخنساء، الشافعي ... لذلك نستطيع عبر هذه الشخصيات، إبراز قدرة الروائية المعرفية على جغرافية الثقافية والفكر. وبعد فليس المهم في العمل الروائي أن تكون الشخصية التاريخية

فاعلة أو مرجعية في العمل الروائي ، بل المهم كيف توظف في العمل الروائي وماهي المهام التي يمكن أن توكل إليها.

ثم أنهيت البحث بخاتمة تعرضت خلالها إلى أهم النتائج التي تحصلت إليها ، كما زودت البحث بقائمة المصادر و المراجع ، فمن الطبيعي أن يتطلب موضوع كهذا قراءة مصادر و مراجع متنوعة الموضوعات و الإختصاصات ، واعتمدت في ذلك بالدرجة الأولى على المصادر المتمثلة في "الجازية و الدراويش " لعبد الحميد بن هدوقة ، و" الشمعة و الدهاليز" ، "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ، "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " لطاهر وطار ، و "ذاكرة الجسد " ، "فوضى الحواس " ، " عابر سرير " لأحلام مستغانمي ، ويعض المراجع نذكر منها مخلوف عامر "توظيف التراث في الرواية الجزائرية "، محمد بشير بويجرة "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية " ، حميد لحميداني " بنية النص السردي (من المنظور النقدي)" ، عبد المالك مرتاض" في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ".

و رغم كل الصعوبات التي واجهتني أثناء إشتغالي على هذا البحث إلا إنني استطعت أن أتجاوزها بفضل الأستاذ المشرف الذي يرجع له الفضل في إعطاء البحث حياة جديدة ، فإليك الشكر أستاذي الدكتور سعيدي محمد، كماأتقدم بالشكر لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ، والذين تقبلوا عناء قراءة هذا البحث و تقويمه و تقييمه .

ختاما أتمنى أن يكون بحثي هذا قد تم الإحاطة بكل ما سطرت له ، و إن نقص من بعض الأشياء في بعض الأحيان، فالدراسة لا يمكن أن تكون نهائية ، إذ يمكن لقارئ آخر أن يعيد دراسة و تحليل هذه الشخصيات ، كما لا يمكن لحال من الأحوال استعاب جميع امكانات النص الأدبي و حصر جميع أبعاده .

و الله ولي التوفيق .

المدخل :

مفهوم الشخصية

1. في اللغة
2. عند علماء النفس
3. عند علماء الاجتماع
4. في الدراسات المعاصرة

تلعب الشخصية دورا هاما و أساسيا في بناء الرواية، إذ أنَها مركز الأفكار و مجال المعاني التي تدور حولها الأحداث من خلال تحركاتها و العلاقات بينها . الشخصية هي" مجرَد أحجار شطرنج استخدمها الكاتب في لعبته الفكريَة- الفنيَة –إنَهالا تستطيع أن تتحرَك أو تتنفَس إلا وفقا لرعايته هوالذي رسم لها قانونها الأخلاقي و يملي عليها التَصرف ضمن مضمونها الخاص للخطأ و الصواب"[1]. كما أنَها ليست نموذج عن الواقع كما هو إنَما تتجاوزه فتصبح معادلا فنَيا للشخصية الواقعية و نموذجا لفئة معيَنة.

يرى نجيب محفوظ أنَ :" الشخصيَة الطبيعيَة عند دخولها في الرواية تتَخذ وظيفة جديدة تدلَ على معنى جديد و تكون جزءا من لوحة كبيرة حتَى أنَنا في النهاية ننسى الأصل في الحياة ولكنًها في الرواية غيرها في الحياة و إلا لما كانت فنَا على الإطلاق"[2].

فيعبَر الراوي عن أفكاره من خلال الشخصية ، بحيث يحمَلها مهمَة أراد اظهارها ذات هدف و تسعى لتتحقَق في ظاهرة الحياة و باطنها و غالبا ما تكون من عامة النَاس و خاصَتهم[3].

لقد كان مفهوم الشخصية في العصور الأولى كما في الملحمة باعطائها دورا هامشيا و كان الحدث لدى أرسطو هو البعد الوحيد الذي تقوم عليه المأساة بحيث يحتاج إلى آلة محرَكة له تستند إليها وظيفة المحاكاة ، من ثمَ كانت الشخصية مجردَ إسم لا يقوم بأيَ وظيفة غيرمايسند

---

[1]– الأعرج واسيني: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص87 .

[2]– حسام الخطيب : بناء الشخصية الروائية في رواية نجيب محفوظ ، دار الحداثة للنشر و التوزيع ، ط1 لبنان ، ص 181.

[3] – ينظر: عبد العالي بشير ، تحليل الخطاب السرديو الشعري ، دار الغرب للنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2002 ، ص55 .

إليها من أعمال ضرورية للحكاية، و بمعنى آخر إنَ الشخصية كانت مجردَ إطار صوري لا يتمتَع بأيَ وجود حقيقي بحيث كانت تفتقر لما يثمن وجودها و يشحذَ فكرها و يلهب عاطفتها و يجعل منها شخصية واعية ذا قيمة[1] .

و في القرن التاسع عشر تقلَصت تبعية الشخصية للحدث ،و أصبح للشخصية وجودها المستقل و نظامها الخاص لا كسند للحدث و بدأت تطبع بسمات دلالية كثيرا ما يكون لها مرجع اجتماعي واضح[2] . و لما كان العمل الروائي يعتمد إلى حد كبير على الشخصية التي ينمو بنموها فإنَ الروائي يجب عليه أن يهتمَ بالشخصية بقدر اهتمامه بالفكرة و الحدث ليكتمل عمله الذي يقوم أول ما يقوم على وجود الشخصية "فالأدب موهبَة لا تخضع لقانون ولا يحكمها اطراد "[3] ، بهذا هي مصدر الخير و الشر في أي عمل روائي فنَي ،حيث أنَ الكاتب يقيم عليها فعله و هي في نفس الوقت تتعرَض لإفراز هذا الشر أو ذاك الخير، و هي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع، "ما من شك أنَ الحياة قد تغيَرت إذا قورنت بما كانت عليه في العصور السابقة على هذا العصر ، وكانت لذلك أثره في الفنَ و الفكر و صياغتها "[4] .

---

[1] – ينظر : ادريس قصوري ، أسلوبية الرواية (مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدنلنجيب محفوظ) ، عالم الكتب الحديث ، ط1، 2008 ، بيروت ، ص 313 .

[2] – ينظر : المرجع نفسه ص 313.

[3] – حلمي مرزوق : مقدمة في دراسة الأدب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1980، ص 109

[4] –– سعد أبو الرضا : معالجة النص في كتب الموازنات التراثية (منهج و تطبيق) ، منشأ المعارف الإسكندرية ، ص55.

و لفهم الشخصية فهما عميقا نتعَرف على مختلف الآراء لدى علماء النفس و الاجتماع لما للشخصية من أهميَة عند الفريقين ،لأنَها عنصر هام في كل المجالات الإنسانية هاته الشخصية التي يغرَبها الروائي فتأتي تعبيرا عن موقفه من الحياة.

1- في اللغة : لفهم معنى الشخصية ،لابد من البحث عن أصل الكلمة في أمهات المعاجم، ففي لسان العرب المحيط لابن منظور ،لم ترد الكلمة و لو مرة واحدة مما يدفعنا للقول بحداثتها ، و يدل هذا على وجودها في المعاجم الحديثة .فقد ورد تعريف لها في المعجم الوسيط على أنَها: " الصفات التي تميَز الشَخص عن غيره و يقال: فلان ذو شخصيَة قويَة و ذو صفات متميزة و إرادة و كيان مستقل "[1].

أما عند ابن منظور فقد جاء : " شخص الشخص جماعة شخص الانسان و غيره مذكر و الجمع أشخاص و شخوص و شخاص " [2]، و هكذا فالمحدثون يريدون بها ما يميز الشيء عن غيره أما القدماء فلم يوردوا الكلمة اطلاقا في سياق حديثهم، و بناء على أنَ الشخصية تعني الفرد بكل ما يميَزه عن غيره من صفات فيزيولوجية و وجدانية و عقلية . ننطلق في الحديث عن الشخصية في مختلف المجالات ،فهي موضوع يكاد ينفذ إلى كل ميدان من ميادين العلوم الإنسانية، و تمثَل المحور الذي تدور حوله دراستها و بحوثها بهدف الكشف عن فاعلية الفرد.

رأينا ممَا سبق أن كلمة شخصية محدثة، و قد يرتبط وجودها بوجود علم النَفس الذي يعتبر الشخصية من أعقد مفاهيم علم النَفس ،فهي تشمل كافة الصفات الجسمية و العقلية و الخلقية و

[1]- ابرهيم مصطفى و غيره : المعجم الوسيط، ج1، دار العودة، ص 475.

[2]- ابن منظور: لسان العرب المحيط معجم لغوي علمي، المجلد الثاني من الزاي إلى الفاء، دار لبنان العرب، بيروت، ص 230.

الوجدانية في تفاعلها مع بعضها البعض و في تكاملها في شخص معيَن، و لهذا تعدَدت و تباينت الأراء التي تعالج الشخصية و طبيعتها و خصائصها .

و إذا كان اللفظ مشتقا أصلا من "personne " أي القناع الذي كان يبدو فيه الممثل على المسرح، فإنَ الشخصية لا تقتصر على ما يبدو به الشخص بل تتناول الجوانب العميقة التي قد يتجلى آثارها في السلوك أو التي تكشف بالاختبارات و وسائل الدراسة النفسية وغيرها"[1].

2 – عند علماء النفس : و للتَعرف على الشخصية عند علماء النفس نلجأ إلى بعض التعريفات الموجزة حيث عرَفها ألبورت: "بتنظيم ديناميكي داخل الفرد من أجهزة نفسجسمية تحدد سلوكه و تفكيره المميزين "[2] .

و الروائي في الرواية الحديثة أصبح يغور في أعماق الشخصية و يحلَل سلوكاتها و يقدَمها من جميع النواحي النَفسية، حيث يصوَر عالم الشخصية الداخلي و الخارجي و يحلَل سلوكاتها محاولا ربط الأحداث و علاقتها الاجتماعية .

إلا أنَ هناك تباين بين الروائيين في مدى اهتمامهم بهذه النواحي التَي تظهر في العمل الفنَي حيث نجد نجيب محفوظ في رواياته التأملية الفلسفية :" لا يهتمَ بتسجيل التجربة بل بآثرها و أثرها من الداخل" [3] .فيقيم علاقة بين حالة الشخصيات النَفسية و سلوكها و علاقتها بمن حولها ،فهي تمثل نماذج مختلفة من فئات المجتمع وفقا لما يقتضيه الحدث و الفكرة.

أما يونج " Yung " الذي يرى أنَ النَاس يمكن تصنيفهم من حيث اتجاههم النَفسي العام ،أي

---

[1]– سهير كامل أحمد : سيكولوجية الشخصية ، مركز الأسكندرية للكتاب ، مصر، ص 09 .

[2]– فرج عبد القادر و غيره ، معجم علم النفس و التحليل النفسي ، دار النهضة العربية ، ط1 بيروت، ص 238.

[3]– د. محمد زعلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة(اصولها اتجاهاتها و اعلامها) ، منشأ المعارف ، الاسكندرية ، ص 329.

من حيث أسلوبهم العام في الحياة إلى منطوي و منبسط[1]، بناءا على نظريته في الأنماط، التي تعرَف الشخص على ما يكون عليه من اتجاه موجَه نحو الداخل أو نحو الخارج.

و أشهر التصانيف الحديثة تصنيف "يونج" النَمط المنطوي و النَمط المنبسط يعتبر أشهرها و أشدَها تأثيرا على الفكر المعاصر، و النمط المنطوي عنده " الشخص الذي يفضَل العزلة و عدم الاختلاط و تحاشي الصلات الاجتماعية، و تؤدَي العوامل الذاتية أهم دور في توجيه سلوكه، و هو دائم التَفكير في نفسه يخضع سلوكه بمبادئ مطلقة و قوانين صارمة دون مراعاة للظروف و بلامرونة و تعزوه المقدرة على التَكيف السريع أو التَوافق الاجتماعي، كثير الشك في نيات النَاس و دوافعهم، يحقَق التوافق عن طريق الخيال و الوهم، مسرف في ملاحظاته لصمتَه و علاجه و مظهره الشخصي".[2]

و يقابل النمط المنطوي ، النمط المنبسط المعاكس من حيث التصرفات و العلاقات الاجتماعية، و" يتميَز بالنشاط و الميل إلى مشاركة النَاس في نشاطهم و أعمالهم، و لا يهتم بصحته أو مرضه قادر على الملائمة بسرعة بينه و بين المواقف الجديدة الطَارئة، و يختلف عن النمط الأول بأنَه يعتمد على العوامل الخارجية في توجيه سلوكه و يقبل على الدنيا في حيوية و صراحة، يتلاءم بسرعة بينه و بين المواقف الجديدة الطارئة و يكوَن صدقات مسرعة، و لا يحفل بالنقد و لا يكتم ما يجول في نفسه من انفعال"[3] .

---

[1] – حلمي المليجي : علم النفس الشخصية ،دار النهضة العربية ، ط1 ، 2001 ، بيروت، ص 34 .

[2] – د. محمد حسن غانم : دراسات في الشخصية و الصحة النفشية ، دار غريب ، القاهرة ، الجزء الأول ، 2006 ، ص 21 .

[3] – المرجع نفسه، ص 22.

3- عند علماء الإجتماع : يتعامل الفنَان مع الشخصيات طبقا للحدث، بحيث أنَ الشخصية تتلاءم مع الدور الذي تعبَر عنه و الذي يمثَل فئة من فئات المجتمع، و الشخصية في المجتمع لاتتجزَأ منه مهما بلغت درجة الخيال عند الفنَان لأنَه صورة مستمدَة من واقع الخيال، و نظرا لما للشخصية من أهمية في المجتمع،اعتنى بها علماء الاجتماع عناية كبرى ، فالمجتمع لا يقوم إلا على العلاقات المتبادلة بين أفراده بعاداته و تقاليده و ثقافاته . فقد كان اهتمام علم الاجتماع بالشخصية اهتماما قائما على أساس العلاقات الخارجية والاجتماعية و الثقافية ،لأنَ الفرد في نظرهم لا يمكن أن يكسب شخصية إلا بمشاركته الجماعية في حياتهم، حيث يتعلم عن طريق علاقاته الاجتماعية و تفاعله مع غيره من العادات و التقاليد.

عرف " بيسانز" الشخصية على أنَها " تنظيم يقوم على عادات الشخص و سماته و تنبثق من خلال العوامل البيولوجية و الاجتماعية و الثقافية"[1] . و الرواية بما تشمله من أحداث و شخصيات نوع من الأدب يحكي ناحية اجتماعية نتعرَف بواسطتها على قضايا إنسانية مختلفة مستمدَة من الواقع المعيش و تعبَر عنه بأفكار يسوقها الكاتب من خلال شخصيات تنتمي إلى المجتمع، و هو بذلك يقدم أنماط مختلفة وجوَا اجتماعيا يساهم في تنشئة اجتماعية تمثل هذه الشخصيات ، فالأشخاص هم مدار هذه المعاني الإنسانية و محور الأفكار و الآراء العامَة، و لهذه الأفكار و المعاني المكانة في العمل الفني سواء أكانت (قصة أو رواية)، إذ تكون الأفكار و القضايا مرتبطة بالمحيط و ممثَلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما و إلا كانت مجرد دعاية، فتحيا الأفكار في الأشخاص أو تحيا بها الأشخاص وسط مجموعة من القيم الإنسانية يظهر فيها الفرد متفاعلا مع المجتمع في مظهر من مظاهر التفاعل حسب ما يهدف إليه الكاتب في نظرته إلى القيم و في أغراضه الإنسانية .

[1] -د. محمد حسن غانم : دراسات في الشخصية و الصحة النفسية ، ص 21.

و تختلف الشخصية من رواية إلى أخرى و من كاتب إلى آخر بناءا على موقف الكاتب أو اتجاهه الفكري أو الدافع ، كما أنَ للمجتمع دورا في هذا التباين فالظروف الاجتماعية و الثقافية تلعب دورا في توجيه الشخصيات .

فبينما نجد رواية تعبَر عن المجتمع و العلاقات الإجتماعية و تصور استجابات الإنسان الفرد كلَما دخل في علاقة مع الخير، نجد في المقابل رواية تحاول استكشاف الحياة الباطنية للإنسان و تعتبر النفس الإنسانية كونا يتحول فيه الكاتب ليتمكَن من إظهار الدوافع السلوكية الداخلية و تأثيرها على حياة الإنسان و تصرفاته، و يربط سلوك الفرد بالناحية النفسية و يهتم بالأبعاد الدلالية الداخلية للشخصية.

" فالأديب الواقعي يصور البيئة تصويرا دقيقا و يلتقط أدق جزئياتها و يرتب هذه الجزئيات ترتيبا عضويا لتصبح شخصيته حية في الرواية " [1] .و الشخصية تحرك الأحداث ، حيث أنَ الروائي يعمد إلى الكشف لنا عن شخصياته و تغيراتها النَفسية و الصراع الفائم داخلها و اهتماماتها و علاقتها ببعضها البعض ، و هي وجه للشخصية في الواقع، أو معادل لها مع اختلاف في الناحية الفنَية التي توضح معالم الشخصية للقارئ لأنَ تصرفاتها مرتبطة بدوافع .

يصور الروائي العالم الداخلي لشخصياته إلى جانب عالمها الخارجي، لأنَ الصراع الداخلي ماهو إلا رد فعل لما يحدث في العالم الخارجي .فالروائي كالرسَام يحتاج إلى مهارة في التعامل مع الألوان و الخطوط ليشبع فضول القارئ، و اقناعه بنقل الشخصية الروائية من الواقع الحقيقي إلى الواقع الروائي الذي يتلاءم مع هذه الشخصية.

[1]– د. سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، المركز العربي للثقافة و العلوم، ط1 ، القاهرة 1932 ، ص 53.

وتعتمد الشخصية في وجودها على عبقرية الفنَان المبدع و خياله البنَاء حتَى يستطيع نقل تلك الشخصية ،من عالمها الخاص إلى عالم تصبح فيه نماذج عامة.

والشخصية في الرواية تختلف اختلاف النَاس في المجتمع ،فالروائي يعطيها أدورا تتلاءم وواقعها الاجتماعي حيث يحدث التوافق بين الواقع الحقيقي و الواقع الروائي، و يختار من بينها شخصية يشعر أنَها قادرة على حمل أفكاره و ايصال رسالته، فيضع فيها ثقته، و في كل رواية شخصية أو شخصيات رئيسية إلى جانب الشخصيات الثانوية، تربط بينهما علاقة بشكل أو بأخر لدعم الفكرة الجوهرية ،و توضح الموقف العام ممَا يجعل وجود كل الشخصيات على اختلاف مستوياتها أساسا في الرواية، أي أنَها الوجه الذي نظهره للأخرين و الإنطباع الذي نكوَنه عنهم و نحدَد به أسوب التعامل معهم [1] .

ويختلف الروائيون في رسم شخصياتهم، فمنهم من يرسم شخصياته داخليَا وخارجيَا، فيعبَر عن عواطفها وأفكارها ويحلَل تصرفاتها، لأنَه مسؤول عنها في كل حركة تتحركها، وقد يترك الحركة المطلقة لشخصياته، فتعبَر عن نفسها من خلال تصرفاتها، أو تعبَر عن الشخصيات الأخرى من خلال علاقاتها بهم وقد يترك المجال للشخصية.

ولا تكمن أهمية الشخصية في كونها رئيسية أو ثانوية، بل الوظيفة هي التي تحدد أهميتها فالشخصيات كلَها تساهم في دفع أحداث الرواية ورسم أجوائها الإجتماعية والنظالية والعقائدية.

وأيَ شخصية مهما ابتعدت عن الواقع، ما هي إلا عيَنة منه، حيث نجد الشخصية الإيجابية المكافحة الثائرة، التي تمثل الرفض والتحدي، وتعبر عن معانات الجماهير الكادحة ورفضها لواقعها، أما الشخصيات السلبية الضعيفة فإنها تعاني وتظل على الهامش متفرجة، وقد تأتي

[1] – ينظر : عبد المناف حسين الجادري ، الطب النفسي للجميع ، الدار الوطنية للنشر و التوزيع و الإعلان الجزائر ،ص 35 .

الفرصة فتتحرك وتبرز.وقد ينفعل الكاتب ويندفع في تصوير الشخصية، فلا يكتفي بالحقائق بل يضفي عليها من خياله، فتحمل خصائص شخصيات بطولية موجودة في ذاكرة الروائي بالإضافة إلى خياله، فتتميَز بشخصية بعيدة عن الواقع . وواقعية الشخصية وامتداد جذورها في المجتمع يقتضي من الكاتب رسمها سلبيا وإيجابيا لأنَ " إيجابية الشخصية تعني الحركة والتفاعل مع الأحداث كما تشارك في الحياة الواقعية، وإذ السلبية تعني الخمول وعدم القيام بأيَ دور فيما يجري من الأحداث"[1].

4 – في الدراسات المعاصرة : أورد عبد المالك مرتاض في كتابه" في نظرية الرواية "جملة من الآراء التي تدعو إلى ضرورة الحدَ من سلطة الشخصية ،منهم على الخصوص " اندري جيد" الذي يعد حسب رأيه من الأوائل الذين دعو إلى التقليل من أهمية الشخصية الروائية ،و قد لقي رأيه صدى واسعا بعد انتشاره عام 1925 .

كما ترفض " فيرجيناولف" التحديد الاجتماعي و النفسي للشخصية الروائية و معها كثير من الكتاب العالميين يرون أن مثل هذا التحديد لم يكن إلا وهما أو خداعا .فهم يقولون إنَ واقع الفرد حقيقة لا يتحدد بموضعه و لا بطبعه في المجتمع، و لكن بطائفة من القيم الثابتة التي تنهض في الغالب على غير المتوقع.[2]

[1] – د.محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي (من أول العشرينات من هذا القرن ألى أوائل التسعينات منه) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1934 ، ط2، ص 372.

[2] – ينظر: عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنية السرد)، عالم المعرفة، الكويت ،1998م ص 91 .

أمَا "كافكا" يقلَص دور الشخصية في روايته " المحاكمة " باطلاق مجرد "رقم "على شخصيته، و قد أطلق على شخصية " القصر" حرف الكاف" k" [1] . هذا و علما أنَ الشيء إذا كثر عنه الحديث يسقط فيما يمكن أن نطلق عليه التعميم التاريخي[2]،و لعل هذا ما حدث لقضية الشخصية في الرواية حيث يجد المتصفح لما كتب حول هذا الموضوع كثير من الأحكام التاريخية تصل حد التناقص.

لكن " رولان بارث" يعد موقفه وسطا، حيث يجعل الشخصية علامة لسانية تنتج الخطاب، كما أنَ الخطاب ينتج الشخصيات فيقول :" الخطاب ينتج الشخصيات، فكأنَ هناك شيئا من التضافر الحميم بين الخطاب و الشخصيات ، تظطرب عبره علاقة معقَدة تقوم على التمثيل الجمالي العاطفي للأحياء و الأشياء ،فكأنَ الشخصيات عينان من الخطاب و كأنَ الخطاب يصبح عبر هذه العلاقة المعقَدة مجرد شخصية"[3] .

و قد صرح" فيليب هامون" بأنَ مفهوم الشخصية ليس مفهوم أدبيَا خالصا، و أنَ وظيفتها لا تتعدى أبعادا نحوية داخل النَص، و يحدث أن تتحوَل الشخصية إلى علامة لغوية عندما ترد في

---

[1] – المرجع السابق ، ص 97 . نقلا عن:
Michel Zéraffa. Le Raman in la littérature égerme littéraires. p 102

[2]– ينظر: ابراهيم عباس ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة للاتصال و النشر و التوزيع، ص 149.

[3] – عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، ص 92، نقلا عن :
R. Barthes: s /z, p 18.

الخطاب عن طريق دال متقطَع يحدَدها في النص ،و يقدمها بواسطة جملة متفرقة من العلامات و السمات التَي يتم اختيارها من طرف المؤلف و وفق مقتضيات الإتجاه الجمالي الذي يمثَله.[1]

هكذا يتباين من خلال هذه الآراء، أنَ هناك تباين في الموافق حول مقولة الشخصية ،يصعب ايجاد صيغة توحد هذه الموافق ،و لعل اختيار موقف " فيليب هامون" يعد نوعا من التوافق بين هذه الآراء المختلفة اتجاه الشخصية في الرواية.

و يمكن اعتماد رأي أو قول " يمنى العيد " الذي يقترب من رأي " فيليب هامون" من حيث التنوع من استعمالات الشخصية مع الاحتفاظ على دورها الهام في النص الروائي، حيث تقول: " إنَ الشخصية الروائية ليست مجرد نسيج من الكلمات بلا أحشاء، لذا يبدو اعتماد التأويل في تحليل الخطاب الروائي اختيار يعيد للشخصية الروائية طابع الحياة كما يحافظ عليها ككائن حي"[2].

ويقدم " فيليب هامون" مدلول الشخصية في صورة ثلاثية كالآتي :

" 1- شخصيات مرجعية و هي شخصيات لها سندها المرجعي المعرفي ،و حدَدها في الشخصيات التاريخية، و الأسطورية و المجازية و الاجتماعية و التي هي موضوع دراستنا.

2 - شخصيات اشارية و هي دليل حضور المؤلف أو القارئ أو ما ينوب عنهما .

3 - شخصيات استذكارية و هي تقوم داخل الملفوظ ،بنسج شبكة من الاستدعاء و التذكير بأجزاء ملفوظية و ذات أحجام متفاوتة "[1].و يؤكد بعد ذلك على أنَ الشخصية الواحدة يمكنها أن تنتمي إلى هذه الفئات الثلاث في الوقت ذاته . لأنَ الشخصية التاريخية، بوصفها شخصا روائيا

---

[1]- ينظر: د. ادريس قصوري : أسلوبية الرواية (مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدن لنجيب محفقوظ) ص 316.

[2]- يمنى العيد: دلالات النمط السردي في الخطاب الروائ ، تحليل(رحلة غانذي الضمير)، ملتقى السميائية و النص الأدبي ،عنابة ،1995، ص 238.

ثانويا، قادرة على أن تعيش نفسها في الخارج بشكل كامل بوصفها كتابا إنسانيا، و على أن تعرض بحرية كل صفاتها الرائعة و التافهة[2] ، و مع ذلك فمكانتها في الحدث تجعلها تستطيع أن تتصرف و تعبر عن نفسها في مواقع ذات أهمية تاريخية، فيزداد الاهتمام بالتاريخ مع الازدياد بالاهتمام بالحاضر، و تساهم الرواية بوصفها إحدى أدوات التصوير لاستجلاء ما حدث .

فقد رفضت الرواية العربية في العقود الأخيرة تبعيتها للرواية الغربية ، فكفَت عن تقليدها ((وبدأت تبحث عن أصالتها و هويتها الخاصة بعد أن تعلَمت منها أصول القص و التقنيات السردية المعاصرة ، و حققت الرواية العربية هذه النقلة الهامة على طرائق انتمائها و أصالتها بالعودة إلى التراث القصصي و السردي و الإفادة منه في البنية العامة و تصوير الشخصيات ، واللغة و السرد ، بالإضافة إلى الغوص في البيئة المحلية ، وتوظيف التراث الشعبي ، ومن حكايات وأغان و أشعار و أمثال ...يضاف إلى ذلك مساهمة الرواية العربية في إعادة قراءة التراث ، ورصدها للمولقف المتعددة منه)) [3] .

---

[1] – سعيد جبار : الخبر في السرد العربي (الثوابت و المتغيرات) ، شركة المكتبة الأدبية ، الدار البيضاء ، ص 193

[2]– ينظر: جورج لوكاتش ، الرواية التاريخية (ترجمة : سعيد جواد الكاظم) ، وزارة الثقافة و الفنون ، ط2 ، بغداد 1987 ، بيروت ، ص 53 .

[3] – محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ،منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002، ص 33 .

والنص الروائي هو كل لا يتجزأ ، و أنَ الدراسة المنهجية لا تطمح أبدا أن تنهض على تمزيق وحدة النص و كليته، و إنما تهدف متوسلة بالموضوعية إلى كشف الروافد التي تشكل هذا النص[1].

كما أنَ الشخصية التاريخية تعبَر عن معنى جاهز و ثابت تفرضه ثقافة ما، لأنَ القارئ يلاحظ أنَ النَص يتضمَن بعض الشخصيات التاريخية ،و يمكن أن نجعل هذا التضمين أنَه مسخَر في سبيل تأكيد التقاطعات التي تلتقي فيها الشخصيات المرجعية و الشخصيات النصية[2]،لابراز تأثيرها و فاعليتها في الحاضر.و هي في الأصل تنتمي إلى التاريخ ،و يتنوع هذا النوع إلى عدة أنواع ممكنة مثل المرجعية السياسية أو المرجعية الدينية(الصحابة و الأئمة)، أو المرجعية الثقافية مثل أهل الأدب و غيرها من مجالات الثقافية المنحدرة في التاريخ.

و لا يخفى على أحد أنَ بعض الشخصيات لها أكثر من مرجعية و ذلك عندما يكون لها في التاريخ أكثر من وجه فعلي بن أبي طالب(قائد و سياسي و إمام).

فهذه الأنواع تحيل على معنى ثابت، بحيث تحقق مقروءيتها حسب مشاركة القارئ في استيعاب تلك الثقافة.و لذلك على الدارس أن يوضح تلك الخلفية المعرفية التاريخية لهذه الشخصيات لأنَ اندماجها في الملفوظ الروائي يجعلها تعمل أساسا على التثبيت المرجعي ،و ذلك بإحالتها على النص الكبير التي تمثله الثقافة [3]،

---

[1]– ينظر: حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث(دراسة تطبيقية) ، دار العلم و الايمان للنشر و التوزيع، دسوق، 2008، ص 347.

[2]–ينظر : عبد العالي بشير ، تحليل الخطاب السردي و الشعري ، ص 55 .

[3]–ينظر : فليب هامون ، سميولوجية الشخصيات الروائية (ترجمة سعيد بن كراد) ، دار الكلام ، الرباط 1990 ،ص 24.

و هذا ما سوف نتعرض إليه في هذا البحث من خلال حضور الشخصية التاريخية بظلالها الحقيقية و المشوشة في المتن الروائي ،في بينتها السطحية و العميقة صياغة و دلالة ،إنَ التاريخ كما انعكس في مخيلة الروائي الجزائري و فكره تمثل جزءا من هذا البحث .

كما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن رؤية الذات الروائية للتاريخ، بأبعاده و الموافقة و المغايرة.

الفصل الأول :التاريخ

المبحث الأول :الرواية و التاريخ

المبحث الثاني : الكاتب و التاريخ

أ – المبحث الأول : الرواية و التاريخ

1 – الرواية العربية :اتخذت الرواية العربية كتابات ذات طابع تعليمي ، واعتمدت الوعظ و الإرشاد ، وأهم الأعمال التي تمثل هذه المرحلة "علم الدين "لعلي مبارك ، و"ليالي سطيح " لحافظ ابراهيم "حديث عيسى بن هشام " لمحمد المويلحي .ولا يمكن أن تعد هذه المحاولات كتابة روائية بالمعنى الناضج بقدر ما كانت تجربة تجمع بين الفن القصصي و الأدب التعليمي[1].

كما كتب جرجي زيدان "غادة كربلاء" ، ومعروف الأرناؤوط "سيد قريش " ، وسليم بستاني "الهيام في في جنان الشام " ، بالاضافة إلى أعمال كل من حافظ إبراهيم " ليالي سطيح" و المويلحي "عيسى بن هشام"، و رفاعة الطهطاوي " تخليص الابرير في تلخيص باريس" ،حيث تؤكد هذه الجهود الرواية التواصل الحضاري و الفني و ربط الماضي بالحاضر .ويعود هذا إلى المكانة التي أصبح يتميَز بها الأدب باستجماع الأدوات الممكنة لتأكيد هويته و حضوره ، ووجد في التراث بعدا جماليا استغله الكاتب لمراجعة التاريخ .[2]

ومع قدوم النصف الأول من القرن العشرين بدأ توظيف التاريخ يتسَرب إلى الكتابة الروائية بشكل أوضح ، منذ أن ألف "طه حسين "و" توفيق الحكيم "(القصر المسحور) متأثرين بحكايات " ألف ليلة و ليلة " ، وتلاهما "نجيب محفوظ " الذي كتب (ليالي ألف ليلة و ليلة) ثمَ "هاني الراهب " الذي كتب (ألف ليلة و ليلتان) و " مبارك ربيع " في (بدر زمانه) و تفاوتت

[1] – ينظر : مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة) ، منشورات دار الأديب ، 2005 ، ص 15 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 16 .

هذه الأعمال و غيرها في توظيف (ألف ليلةوليلة) ، وبهذا فالرواية العربية حين وظفت بنية (ألف ليلةوليلة) لم تبقى في حدود التقليد ، بل أحدثت تغييرات جديدة .[1]

يعتبر نجيب محفوظ من أهم الروائيين العرب الذين أرسوا دعائم الرواية العربية تجنيسا تأصيلا إلى جانب محمد حسين هيكل ،و سهيل إدريس و جيرا خليل جبرا و غسان كنفاني محمد شكري و غيرهم .

و قد تميز نجيب محفوظ عن غيره من الروائيين، بتعدد أشكاله السردية و تعدد المواضيع والقضايا التي يتناولها في إطار رؤى مختلفة في تصوير مصر ، و تشخيص فضاء القاهرة عبر امتداد تاريخ السلالات المالكة للسلطة و الحكومات المتعاقبة، و بذلك يكون نجيب محفوظ المعبر عن تاريخ مصر. و من أهم الروايات لنجيب محفوظ رواية "اللص و الكلاب" التي اتخذت طابعا رمزيا " حيث تعدَ الرواية من بين الأشكال التعبيرية التي تحتمل بنياتها تساكن الواقع و اللاواقع و تقاطع الحقيقي و الخيالي"[2] .

عرفت الرواية العربية مجموعة من المحطات التاريخية و الفنَية حيث تعتبر الأشكال السردية الحكائية القديمة، ألف ليلة و ليلة، سيرة عنتره بن شداد، و سيرة سيف بن ذي يزن، و سيرة الظاهر بيبرس..أنماط تراثية رواية عربية أصيلة .

لكن صدمة النهضة و الحداثة و الانبهار بالحضارة الغربية و التهافت على الجديد الأدبي وتقليد الغرب في طقوسه و شكلياته، سبَب في القطيعة الإبداعية و انفصال الحاضر عن الماضي على المستوى التخييلي الحكائي و الإبداعي السردي.

---

[1] – ينظر : محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 83 .

[2] – د. الداهي محمد: سميائية السرد(بحث في وجود السنمائي المتجانس) ، رؤية للنشر و التوزيع، ط1 القاهرة ، 2009، ص 286.

فقد جاء الجنس الروائي كما أجناس أدبية أخرى، وافد إلى البلدان العربية ،و ليس في استقبال ثقافة مغايرة في بلد معين ما يضر، لكن هذا الاستقبال لا يستقيم إلا عندما يصبح العنصر الثقافي الوافد جزءا داخليا من ثقافة وطنية، أي عندما يتم تحويله بأدوات ثقافية وطنية تميزه و تسحبه من التاريخ الذي منه ،إلى تاريخ متميز لبلد يتميز في ثقافته و تاريخه"[1] .

مثلما مرَت الرواية الغربية بمسار في نموها و تطورها ، فإنَ الرواية العربية اتخذت لها مسارا في تطورها ، وقد كان للظروف السياسية و الإجتماعية دور هام في مسار الرواية العربية حيث نجدها بدأت رواية تعليمية اصلاحية ، متأثَرة في أسلوبها بالكتابات العربية القديمة كالمقامة . فالظروف التي كانت تسود العالم العربي آنذاك دفعت بالمثقفين و الأدباء إلى أن ينهجو المنهج التعليمي في كتاباتهم و رواياتهم ،و كان همَ الأدباء الأول النوعية ، و التعليم المباشر ، بأيسر الطرق وأنفعها ، ولهذا كان عليه أن يخضع رواياته بأحداثها و شخصياتها ، للهدف الأخلاقي التعليمي الذي يرى فيه السبيل لإنارة القارىء ، فللأديب رسالة يحاول ابلاغها ويعالج من خلالها مشاكل مجتمعه ، لأنَ غاية الرواية ، باعتبارها فنَيا ، هي تجسيد الحياة الإنسانية على نحو أعمق و أخصب ..على حين أنَ بعض ضروب التعبير الفني الأخرى تتجه في منظور واحد شأن اللون في الرسم و التوترات المثيرة في الموسيقى ...فضلا عن أنَ بعض أشكال التعبير الأدبي الأخرى – كما هو الشأن في الشعر – قد تعنى باللغة قدر عنايتها بفهم الحياة الإنسانية [2] . تأثَرالروائيون بالفن الروائي الأوربي ، فقد اتجه جرجي زيدان إلى التاريخ وراح يستقي منه معلوماته ، فكانت رواياته مزيجا من التاريخ و المغامرات العاطفية

[1] – ينظر: د. فيصل دراج ، دلالات العلاقة الروائية ، مؤسسة عيبال ، ط1، 1992 ، ص 113.

[2] – ينظر : روجرب هيكل : قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير : ترجمة و تقديم و تعليق دكتور ملاح رزق) ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، ص 177 .

ولم يكن جرجي زيدان الوحيد الذي أرسى دعائم الرواية التاريخية بل كان هناك أخرون أمثال نجيب محفوظ ، وكانت شخصيات رواياتهم مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي أو من التاريخ المصري الفرعوني .

وإن كنا قد أولينا الرواية العربية في مصر أهمية ، فهذا لا يعني انعدام هذا الفن في البلدان العربية الأخرى ، حيث أنَ لبنان وسوريا والعراق والسودان وغيرهما من البلدان العربية كان لها دور في تطور الرواية على يد روائيين لا يقلون أهمية عن الروائيون في مصر .إلا أنَ مصر كان لها شرف البدء ، فكان منهم الرواد الأوائل من أمثال حسين هيكل و طه حسين ومحمد تيمور وغيرهم ممن وضعوا أساس الرواية العربية ، "وقد كانت مرحلة تردد بين التراث القديم في شكله وموضوعه وبين القصة الغربية الحديثة التي نقلت إلى العربية"[1]. حيث كانت الرواية على أيدي جماعة من الأدباء العرب أمثال المويلحي ، ناصف اليازجي ، جرجي زيدان ، مصطفى لطفي المنفلوطي وغيرهم من الأدباء على اختلاف أهوائهم واتجاهاتهم، حيث تقوم الرواية على ركيزتين هما :" الرواية المتمثلة بتوافر العناصر الفنية من حدث و شخصية و زمان و مكان و من طريقة قص لنسج تلك العناصر ، و تقديمها بصورة فنية وعلى الركيزة الأولى يطلق متن الرواية و على الثانية أسلوي السرد و ما البناء الفني للرواية، إلاكيفية بناء تلك العناصر ، و العلاقات المتداخلة فيما بينها بوساطة السرد بأساليبه ووسائله من وصف و حوار "[2] .

---

[1]–محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة ، ص 82 .

[2] – عبد الله ابراهيم : المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص و الرؤى الدلالية)، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص 115

وقد ظهر التأثر بالغرب في روايات كثيرة من الروايات العربية منذ أوائل القرن العشرين، مع رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل ، و "الأجنحة المنكسرة " لجبران خليل جبران، على غرار القواعد و الأنماط الشكلية الأوربية، أو بما يسمى بالرواية الكلاسيكية في تياراتها التاريخية الرومانسية و الواقعية التي تذكَرنا بروايات فلوبير و اميل زولا و بلزاك و دو يستفسكي. يلاحظ على هذه المرحلة تقليد الرواية العربية لنضيرتها الأوربية في مضامينها و أشكالها الفنية و الجمالية و تقنياتها السردية، مما أوقع الرواية العربية في التقليد و الاقتداء الأعمى و التجريب و الاستهلاك. أماالذين زاروا الغرب ونهلوا من ثقافته واطلعو على أدبه ، فتأثروا به وكان حافزا لهم ، حيث وجدوا أنفسهم في بيئات غير بيئاتهم وحضارة تختلف عن حضارتهم ، فحاولوا نقل هذه الإنعكاسات في رواياتهم ، وهذا كَله لتطعيم الأدب العربي بالأدب الغربي ، وتأثر الأدباء بهذا الفن تأثرا مباشرا ، وإن اختلفت الإتجاهات الفنية لدى الروائيين ، فإنَ هذا أثرى الأدب العربي ، وأشبع فضول القارىء الذي يطمح دائما إلى الجديد .

فالبدايات الأولى للرواية العربية لم تقف عند حد ، بل اجتهد الروائيون في ربط أعمالهم بالواقع الذي برز فيه صوره المختلفة المعبَرة عن جوانب عديدة من المجتمع ، وهذا ما نلمسه عند طه حسين في رواياته مثل (المعذبون في الأرض) ، (دعاء الكروان) ، هذه الروايات و غيرها تعتبر بداية في بناء الرواية العربية وقد اكتملت لتصل في النهاية إلى الرواية الفنَية مع نجيب محفوظ الذي " يلتقي مع الواقع الحي التقاءا مباشرا ، ويتخير من قطاعاته شريحة البرجوازية الصغيرة في مختلف مراحل حياتها ويستقطب الجانب المأسوي في حياة المجتمع بعامة ، وفي التكوين الداخلي لهذه الطبقة بخاصة " [1]. وقد شهدت ميلاد العديد من الروايات ، وبدأ الروائيون يميلون إلى التحليل النفسي للشخصيات و الغوص في أعماقها للكشف عن عالمها

[1]– سيد حامد النساج : بانورما الرواية العربية الحديثة ، ص 53 .

الداخلي ، وإن كان لهؤلاء الروائيون عظيم الفضل على الرواية العربية في مسيرتها ، فإنَ لنجيب محفوظ فضلا عظيما ، فقد كتب في كل الإتجاهات . وكان اهتمام نجيب محفوظ منصبا على المجتمع المصري منذ عصوره القديمة ، وشخصياته مستمدة من تاريخ مصر القديمة والفرعوني .

2 –الرواية الجزائرية :

الواقع أنَ الأدب الجزائري يشبه إلى حد كبير كل حديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئته الوطنية ، فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف و المشكلات التاريخية و الفكرية التي عاشها الأدب العربي ، وكانت صلة الجزائر بأوربا من أسبق الصلات التي نشأت بعد ذلك ، فاستفادت من الصلة تجاريا و حربيا و اداريا . ولكنها لم تستفد من فكرها و حضارتها و فنها و ثقافتها لإلى أن جاء الإحتلال .[1] و الرواية في باقي الدول العربية لا تختلف في مراحلها عن الرواية في مصر ، إلا أنَها تأخرت في الظهور في بعض الدول ، نتيجة للظروف السياسية و الإجتماعية مثلما حدث في سوريا و الجزائر فيما بعد ، " فحقل الرواية العربية الحديثة واحد من تلك الحقول الضامئة ، يتطلع إلى الإرتواء من ينابيع الترجمة ، وأنهار الإبداع و جداول النقد الواعي الهادف إلى الشرح و التفسير" [2] . سار هذا الفن متذبذبا فترة من الزمن ، كانت فيه الروايات المكتوبة روايات تسلية أكثر منها فنية . ولئن تأخرت الرواية في تونس و المغرب عن ركب الرواية العربية ، فقد وجدت مجالا رحبا تمتعت به ، وأينعت فيه ، لكن الرواية في

[1] – ينظر : سعد الله أبو القاسم : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص 21 .

[2] – أحمد سيد محمد : الرواية الإنسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب و نجيب محفوظ) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزئر ، ص12 .

الجزائر لم تظهر إلا بعد الإستقلال نظرا للظروف القاسية التي عاشتها الجزائر ، بإستثناء بعض المحاولات كرواية (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو ، و (الطالب المنكوب) لعبد الحميد الشافعي الشافعي ، و(الحريق) لرشيد بو جدرة ، ويرى نجيب محفوظ أنَ هذه المحاولات بذور ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة في موضوعاتها ، أو في أسلوبها ، وبنائها الفني ، ويشير إلى قصة مطولة بعض الشيء ويقصد (غادة أم القرى) التي تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية ، أما (الطالب المنكوب) لعبد الحميد الشافعي ، فيرى أنها رومانسية في أسلوبها و موضوعها ، ومضمونها ساذج مثل طريقة التعبير عنها .[1]

و قد كانت من أهم نتائج الاتصال العربي بالغرب على المستوى الثقافي و الأدبي، أن اعتنت المكتبة العربية بثمار الترجمة التي نمت في ظل ذلك الاتصال.و لذا كان من الطبيعي أن يخضع الأدب العربي بدرجات متفاوتة و باختلاف المرحلة و القطرية العربية للتأثيرات الغربية التي حملتها إليه النتاجات الأدبية المترجمة .و لكن كان لا بد للظروف المحلية القومية والقطرية، إضافة إلى الظروف الدولية التي ظهرت في ظل الحرب العالمية الثانية و بعدها بشكل خاص إذ تلعب دورا في إشاعة أنواع و اتجاهات و مذاهب معينة من الكتابات[2]. حيث يعترف مؤرخو الأدب و النقاد على اختلاف لغاتهم و جنسياتهم ،أنَ حركة التأثر و التاثير ، دائمة الاتصال بين الأداب قاطبة قديمها و حديثها ،فلاغرابة في أن تتأثر الرواية العربية الحديثة في مرحلة مهدها و نشأتها بالموروث و بالتيارات الأجنبية معا و استمرت على تلك الحال كما

[1]– ينظر : عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب،الجزائر ، 1974/1830 ، ص 119_120 .

[2]– ينظر: د. نجم عبد الله كاظم ،الرواية العربية المعاصرة و الآخر (دراسات أدبية مقارنة) ، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن ، 2007 ، ص 114.

يقول الدكتور غنيمي هلال ، إلى أوائل القرن العشرين ،حيث تخلصت من الإعتماد على التراث العربي القديم ، و بدأ الوعي الفني يتلمس جنس القصة من مواردها الناضجة في الأداب الأخرى [1] .

ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي و القصة القصيرة و المسرحية ،رغم ذلك فهي أكثر الأجناس الأدبية حساسية اتجاه المجتمع ،والنسيح الروائي كشبكة مؤلفة من شخصيات و حوادث ولغة ، مجتمع مصغر ، إنَها تحديدا شبكة من العلاقات وتزامن الأحداث ،لكن كما للراهن الإجتماعي ، أي للحالة الإجتماعية جوهره و دلالته و سياقه في مفهوم الروائي و رؤيته ككل ، فالأدب ليس مجرد متعة وشكل متقن بل هو معرفة بمعنى: علم[2]. يمكن القول إنَ الحركة الأدبية في الجزائر بلغت درجة من النضج و التميز في الكتابة الروائية ، على الرغم من أن"عمرها الأدبي يعد قصيرا مقارنة بالرواية العربية في نشأتها و تطورها ".[3]

ولعل الرواية أن تكون جذبت إليها عددا أكبر من الكتاب بفعل ما أصبحت تحظى به من مكانة متميزة بين سائر الأجناس الأدبية ، لذلك انتقل إليها بعضهم بعد تجريب القصة القصيرة .

و صلت الكتابة الروائية إلى ظاهرة توظيف التاريخ و تمتد أحيانا إلى التراث العربي الإسلامي، حيث الدين و التاريخ الإسلامي يحضران في المقال الأول ، ما دام التراث ليس ماض فقط بل يحدث تأثيرا في الحياة اليومية لينتقل إلى اهتمامات الكتاب .لقد ظلَ التراث لفترة طويلة يتحدَد بفترة زمنية تنتمي إلى الماضي ، لكن هذه النظرة ، بدأت تتغير وأصبح

---

[1] – أحمد سيد محمد : الرواية الإنسيابية و تأثيرها عند الروائيون العرب ، ص 236 .

[2]–ينظر : محمد كامل الخطيب ، الرواية و الواقع ، دار الحداثة ، ط1 ، 1981 ، ص 18 .

[3]–مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 27 .

التراث لا يدل على فترة زمية محددة بل يمتد حتى يصل إلى الحاضر ، ويشكل أحد مكونات الواقع التي تعيش في وجدان الشعب .صحيح أنَ هناك بعض المحاولات التي نظرت إلى هذا التراث نظرة عابرة وبعضها توقف عند نماذج معينة ، لكنَه يبقى في حاجة إلى إعادة نظر وإلى قراءة جديدة تغوص في أعماقه و تكشف عن مكوناته .

" فالحاضر لا يمكنه السير منفصلا عن تلك الأيام الموغلة في رحم التاريخ، لا بد من رؤية الحاضر بمنظور تاريخي ليمارس التاريخ دوره بوصفه محفزا على التجدد و الانبعاث، و البحث عن المستقبل الأفضل لن يتحقق إلا بتقمص الماضي بوصفه تيارا يصب في الحاضر و يردفه بمكوناته"[1].

و قد تعددت الرؤى و اختلفت المقاصد من احياء التراث و استلهامه و إعادة قراءة التراث و الوحدات السردية الدالة على الجوانب الإيجابية في التاريخ العربي ،تأتي في اطار تطلع الذات التي تعاني إلى استعادة الماضي المجيد و استبداله بالحاضر القاتم[2] ، فيرد الماضي المجيد الذي يصَر السرد الروائي على استحضاره في الرواية بوصفه حلما يراود الجيل الجديد، و يذكرهم بما كان عليه أجدادهم من قوة و أخلاق حميدة " والعودة إلى التراث ليست ظاهرة خاصة بالعرب و إنَما شهدتها الحضارة الغربية نفسها عندما سعت في عصر النهضة إلى احياء التراث اليوناني و الروماني ". [3] وذلك كان هو ميدان الروائي الجزائري الذي خلق منه نماذج روائية يحاول من خلالها أن يعالج أفكارا و قضايا حساسة ، و صراعا بين القديم و الجديد ، بل بين ماهو كائن ، وما ينبغي أن يكون .ومن هنا نتج لدى الروائي ، احساس قوي بكثافة هذا الواقع

---

[1] – د. سعد الله محمد غانم ، أطياف النص (دراسات في النقد الاسلامي المعاصر) ،عالم الكتاب الحديث ،2000 ، ص13.

[2] – ينظر : المصدر نفسه ، ص14 .

[3] – مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 14 .

و الذي من سماته ، انبهار الفرد الجزائري بماضي الأجداد المشرقة ، فانفجرت العملية الإبداعية لديه ، التي دفعته إلى أن يلجأ إلى الشخصية الرمزية ، التي أصبحت علامة بارزة في طريق بناء معمار روائي أصيل ، ترقى به الرواية الجزائرية إلى مصاف النماذج العربية و العالمية ، من حيث كثافة الدلالة ، و الصيغة الجمالية[1] .

و قد أكد الطاهر وطار :" على أن التجديد ليس قضية هامشية تتعلق بالشكل الخارجي لكنَها قضية فلسفية تقوم في الأساس على نظرة الإنسان إلى الوجود و المجتمع، و من هنا كان التحول في نظرة الإنسان إلى الواقع الذي يعيش فيه أصلا لكل تحول فنَي"[2] .

إنَ نظرة وطار إلى التجديد كونه قضية أساسية في عمل أي مبدع في المجال الأدبي، يجعله يتفاعل مع مجتمعه و مع التحولات التي تطرأ عليه لكونه يعكس كل ما هو معاش في واقعه "فالرواية هي مادة التاريخ و الإخبار عموما ، وليس للرواية بدورها طبيعة تخرجها من كونها إنباءا محضا ، فهي قول دون أن تكون خطابا ، ولو أنَ لمحتواها فحوى خطابيا ، ولكن هذا الفحوى الخطابي شأن لا علاقة له بالرواية كفاعلة محصورة بالراوي وخارجة عن بنى الرواية عينها " [3].

فكل رواية تقوم على حكاية تحكي شيئا ولذا فإنَ هذا الذي تحكيه الحكاية مرتبط بزمان ومكان لهما علاقة ضمنيَة بالتاريخ الإنساني ، ولهذا فانَ التاريخ باعتباره جزءا من الواقع له حضوره

---

[1] – ينظر : بشير بويجرة محمد ، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ، ط2 الطبعة الثانية ، 2006 ، ص 106 .

[2] – واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986 ص94.

[3] – د.رفيق العجم : موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي و الإسلامي ، مكتبة ناشرون ، لبنان ، ط1 2000. ص 356 .

أكيد في الرواية ، ويأخذ مواقع مختلفة لوظيفة الرواية و شكلها الفنَي ،فإذا كانت الرواية التاريخية تشكل مظهرا واضحا لعلاقة التاريخ بالرواية ، فذلك لم يكن إلا تواصلا بسيطا لم تكن له الوظيفة الأدبية مركزا مهمَا بقدر ماكانت الوظيفة التعلمية و السياسية الإحيائية أكثر أهمية[1].

لقد حاولت الرواية الجديدة خلق واقع مفارق للواقع المادي الذي قامت عليه الرواية الواقعية الكلاسكية عند بالزاك ، فتحول الواقع في الرواية الجديدة إلى بحث واقع خفيَ ليس ذلك الواقع الذي يراه كل الناس ، ولهذا فإنَ الرواية الحديثة و الجديدة لاتقدم حالة الاستقرار و الثبات مثلما هو الحال في الرواية الواقعية الكلاسيكية [2] . الواقع يوجد في النص الأدبي المتخيل ، لكن ماهو أكثر أهمية هو الاهتمام بطريقة حضور هذا الواقع ، على مستوى الإبداع الأدبي ، هناك طريقتين فنيتين في كيفية حضور التاريخ بأبعاده الواقعة و المتخيلة و هما :" في صورة أحداث عامة ، تتعاضد في بنائها مختلف العناصر المشكلة للنص الروائي ، وفي مثل هذه الروايات لا يكون التركيز منصبا على بطل واحد يعكس كل صورة الحكاية الأساسية للرواية ،بل تشترك جميع الشخصيات في بناء حدث الرواية العام .

أمَا الشكل الثاني للتاريخ فهو شكل السيرة الذاتية ، والذي عادة ما يمثله الراوي أو البطل ،الذي تعتبر حكايته النواة الأساسية للرواية " [3] .فيتحقق حضور التاريخ في النص الروائي من فاعل يقوم بذلك ،وهو عادة يكون الراوي أو الشخصية ، وللتاريخ وظيفة دلالية فهو معروف في

---

[1]–علال سنقوفة : إشكالية السلطة في الرواية العربية (رسالة دكتورة) ، اشراف الدكتور نور الدين السد ، السنة الجامعية 1996–1997 ، ص24 .

[2]– ينظر: ميشال بوتور : بحوث قي الرواية الجديدة(فريد أنطو نيوس) ،دار منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 1971 ، ص 18 .

[3]– ينظر : علال سنقوفة ، إشكالية السلطة في الرواية الجزائرية (رسالة دكتوره) ، ص 26 .

الرواية التاريخية ، ففي الرواية الحديثة يبدو خفيًا أحيانا و مباشرا أحيانا أخرى . لكن هذه الوظيفة بالرغم من أصلها الوظيفي النفعي ، تبقى عنصرا متخيَلا يسهم في تحقيق الايهام بالواقعية كما يقول رولان بارث ، فيغدوا النص الروائي كلَه في دلالته الفنَية السوسيولوجية وحدة متخيلة تقدم صورة ايهامية عن الواقع التاريخي الذي يرتبط بزمن القص وعناصره الأخرى الفاعلة فيه[1] . إنَ دخول التاريخ إلى النص أو النص في التاريخ ، عملية صعبة على المستوى الإبداعي ، لأنَها تتطلب قدرة كبيرة على التخيَل التى تأتي من القدرة على البناء الشكلي المتميز للنص ، وهذه البنية الفنَية هي التي تعمل على تحديد رؤية الكاتب للعالم ، حيث "انفتاح المحاولة الروائية الجديدة على التاريخ متميز لكون العنصر الإيديولوجي يبقى على الرغم من وجوده الظاهر ، مهمَشا و غير قادر على ضبط الحركة الروائية العامة "[2] . إنَها تجربة الرواية الجديدة التي تحاول إقامة علائق جديدة مع التخيل و الإيديولوجية و وانقطاعها مع النموذج الروئي الواقعي ، الذي هيمن على الخطاب الروائي الجزائري العربي .

يستفيد النص من نصوص تاريخية و ثقافية تأكد خصوصية ومدى درجة الوعي بالتراث والنص الروائي إذ يستدعي هذه الشخصية التاريخية فإنه يستدعيها لتحقيق أبعاد جمالية من استخدام هذه المرجعية في فهم متناقضات الحياة و استلهام قصتها [3]. فإنَنا نستطيع أن نظيف هنا " أنَ الوعي بالتاريخ يكسب أصحابه إلى جانب عمرهم و عمر أسلافهم ، أيضا عمر الأجيال التي لم تأتي بعد ، لأنَ الوعي بالتاريخ تتجاوز فائدته الحاضرة و بناء واقعنا المعاش ، إلى

---

[1] –ينظر : المرجع السابق ، نقلا عن : ROLAND BARTH :l'effet du réel ,littérature et réalité ,Ed du seuil ,1988 ,p81

[2] –سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ،المركز الثقافي العربي ، لبنان ، ط2 ،1993، ص 284 .

[3] – ينظر : مصطفى الكيلاني ، الرواية و تأويل التاريخ (سردية المعنى في الرواية العربية)، دار أزمنة ط1، الأردن ، 2009 ، ص 18 .

التأثير في المستقبل القريب ، ومن ثمَ فنحن نضيف إلى أعمارنا – إذا" وعينا تاريخنا " – أعمار الأقدمين ، ونسهم كذلك في زيادة أعمار الأجيال القادمة ، بما نضعه على دروبها من أضواء وما نقدمه لتجاربها وخبراتها من إضافات "[1] .

وإذا كان بعض الباحثين يرون أنَ الشخصية في العصر الحديث ،لم يعد لها تلك المكانة التي كانت تتبوؤها في الرواية التقليدية ،ذلك أن الروائيين الجدد بدأوا يهددون الصروح الجميلة التي كانت تمتاز بها الشخصية الروائية.فالشخصية في الرواية وإن تعرضت إلى الإنكار من قبل رواد الرواية الجديدة لأن "الرواية تحكي عادة مغامرات خيالية " [2] ،فهذا لايعني أنَها عنصر يمكن الإستغناء عنه ،ذلك لأن دوافع هؤلاء تقررأهميتها في الرواية ،فهم يعترفون بأهميتها حين يجدونها أداة لكشف قيم العصر الذي أصبح فيه الإنسان مجرد رقم في هذه الحياة .وعندما عمد بعض المؤلفين إلى كتابة الرواية التاريخية أمثال "جرجي زيدان " فقد غلب عليها الجانب التاريخي ولم تنل جماليلت الرواية نصيبها الفني إلا لاحقا ، فيما كتب "جرجي زيدان " من شخصيات وجدت فعلا في التاريخ مثل : "الحجاج بن يوسف " و "عبد الله بن الزبير " و "سكينة بنت الحسين "، وتوجد في النص على نحو مستقل عن الراوي أو الكاتب ولذلك يشيع فيها استعمال ضمير الغائب وتبقى مرتبطة بزمن معروف محدد ، بينما تعمد الرواية الجديدة إلى أن

[1] – د.رفيق العجم : موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي الإسلامي ، ص 356 .

[2] –عز الدين اسماعيل : الأدب و فنونه (دراسة و نقد) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 117 .

تصبح الشخصية نموذجا بشريا ولا تبقى أسيرة زمانها وفيها يتحقق الإمتداد بين الماضي و الحاضر و تعدد الضمائر ويجبر القارىء على المشاركة في الأحداث[1] .

أما فيما يخص المعاصرة فإنها تمدنا بالأليات و الأدوات المعرفية الحديثة للتعامل مع التراث ومحتواه ،كما تقدم قراءات عدة تتيح فرصة التعرف على ابداع التراث ، ومدى الوظيفة التي حققها ، فضلا عن أنَ كل قراءة تكشف عن رؤية ابدعية جديدة "أما الرواية فهي الشاهدة على الإنتقال من العصر القديم إلى عصر حديث ، لأنها محصل نشأة الوعي التاريخي ، يل هي تفسير ما للتاريخية " historicité" بمجموع قيم جمالية أدبية و أخلاقية .لأنَ التاريخ هو الذي يشحن الرواية بعمق الدلالات ، و هو الذي يستدعي ضربا خاصا من التخيل لا يكون إلا بالسرد الروائي ؟ وكيف تتواصل الذاكرة والتاريخ ؟ وما المشترك بينهما استنادا إلى وظيفة الفرد و المجموعة التي تنتمي إليها" [2] . والشخصية عنصر مهم من عناصر القصة الفنية يبتدعها القاص لتشكيل عمله ، كما يبتدع المكان والزمان و الحوار و اللغة و الرمز و الصورة وباقي التقنيات المسهمة في تشكيل العمل القصصي و المتظافرة لتصنع منه نسيجا فنَيا متراصا[3].

---

[1]– ينظر : مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 17 .

[2]– مصطفى الكيلاني : الرواية و تأويل التاريخ ، ص 18.

[3]–ينظر : ملاح بناجي ، آليات الخطاب النقدي المعاصرفي مقاربة القصة الجزائرية (دراسة في قراءة القراءة) ، دار الغرب ، جامعة سيدي بلعباس ، 2002 ، ص70.

ب – المبحث الثاني: الكاتب و التاريخ

إنَ الوطن العربي تعرض لهجمات فكرية و عسكرية أجنبية أثرت بشكل واضح على مجرى حياته وقد حاولت الرواية العربية أن تبلور فنيا هذا التأثير ، فكتب توفيق الحكيم 'عصفور من الشرق '، سهيل الإدريسي "الحي اللاتيني " ، والطيب صالح " موسم الهجرة إلى الشمال" ، إلى غير ذلك من الإبداعات الأدبية التي عالجت قضية التأثير بين المجتمعين و الحضاتين في الغرب و الشرق [1] .

و المبدع لا يستطيع أن يبدع من الفراغ، و إنَما ثمَة مجموعة من المنطلقات يرتكز عليها مثل اللغة و الأفكار و العادات و التقاليد و التراث بصفة عامة، لأنَ الأديب يستفيد من النصوص الإبداعية من غيره كما يقوم بتوظيف الشخصيات التاريخية و الواقعية و الفنية و غيرها، ليس سبيل التكرار أو الإعادة ، و إنَما لإعطائها أبعادا دلالية و جمالية جديدة تخدم فكرة و موقف المؤلف ، " إنَ الروائي وإن بدا مستسلما للخيال ، ليرسم لوحات أقرب إلى الحقيقة من تلك التخيلات المدعاة تاريخيا على سبيل التبجيل . فالتاريخ لا يركز نظرته المتعجرفة على غير الملوك و مشروعاتهم الخاصة وعملياتهم السياسية الكبيرة التي تلفها الأسرار . أما الرواية فهي أقل تكبَرا ، ولذلك فهي تحتضن الجمهور و تتَبع مسيرة المزاج و الطبع " [2]. هذه الشخصية التي ابتكرت من واقع الحياة مقنعة ، توهم بأنَها تطابق الحياة وهي تختلف عنها و لكن لها أصل في الواقع ، وهذا الأصل بمجرد أن يدخل في الرواية تدخل عليه بعض التغييرات تبعا لتصور

[1]– محمد بشير بويجرة : بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، ص 185 .

[2] – جنيت و غيره : الفضاء الروائي (ترجمة : عبد الرحيم حزل) ، أفريقيا الشرق، المغرب ، 2002 ص 113 .

المؤلف . والكاتب المبدع هو الذي يحدث توازنا بين تصَرف الشخصية في الواقع و بين النموذج الذي رسمه لها.

فمن خلاله يثير الكاتب اهتمام القارىء، وهكذا نستنتج" أن الشخصية الفنية ولدت من زواج الكاتب بالواقع ، فهو يتعامل معها و كأنَه مع شخص حقيقي" [1] .

و في هذا الإطار كثير من كتاب الرواية وظَفوا الشخصيات التاريخية و الأدبية و الفنية في النصوص السردية مضفيا عليها خياله و أفكاره و رؤاه الفنية و الثقافية ، فكلمة" التاريخ هي يونانية الأصل ، تدل على استقصاء الإنسان واقعة انسانية منقضية سعيا إلى التعرف على أسبابها و آثارها "[2] ، أما الرواية (Roman) فهي " أوسع من القصة في أحداثها و شخصياتها عدا أنَها تشغل حيَزا أكبر وزمنا أطول ، تتعدد مضامينها ، كما هي في القصة فيكون منها الروايات العاطفية و الفلسفية و النفسية و الإجتماعية و التاريخية " [3].

و في هذه الحالة ،نستطيع المزاوجة في الشخصية، فهي شخصية واقعية من ناحية أولى، و من ناحية ثانية فهي شخصية أدبية . و استخدام الشخصية الواقعية في الرواية ناتج عن المخزون الفكري و الثقافي و الفكري و التاريخي للمبدع من خلال قرءاته و اطلاعه للنصوص ، "ممَا يشهد للتراث العربي تنوعه و جماله و تأثيره في الأدب الإنساني و يكفي أن نذكر "ألف ليلة و ليلة " أو "رسالة الغفران " ليتجلى امتداد هذا الأدب و تأثيره في كتاب عالميين كبار .ولعل

---

[1] - ينظر : د محبة حاج معتوق ، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني بيروت ، ط1 ، 1934 .ص 11 .

[2]–مصطفى الكيلاني : الرواية و تأويل التاريخ ، ص 81 .

[3]–د.عزيزة مريدان : القصة و الرواية ، دار الفكر ، دمشق ، ص 14 .

الرواية بطبيعتها الموسوعية و قدرتها على احتضان أجناس أدبية متعددة و شهرتها العصرية أيضا ، أن تجعلها مؤهلة أكثر من غيرها لتحقيق عملية التوظيف "[1] .

و قد يلجأ الكاتب إلى توظيف شخصية النبي يوسف- عليه السلام- أو موسى- عليه السلام- من خلال معرفته بالنصوص كما قد" تكون شخصيات تاريخية عرفها ذلك المجتمع في تاريخه القديم"[2] .

يرى الباحث و الناقد عبد المالك مرتاض، أنَ الشخصية هي عبارة عن عالم معقد و متباين ، و تعدد الشخصية الروائية بتعدد الثقافات و الأهواء و الأفكار و الطبائع البشرية، و أنَ الروائي يبحث عن الشخصيات التي تحمل صورة مصغرة للعالم الواقعي ، فيستفيد من التاريخ و مكوناته الإجتماعية و الإقتصادية و السياسيَة .[3]

و في بحث آخر يشير إلى أنَ الشخصية هي كائن حركي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه، وحينئذ تجمع الشخصية جمعا قياسيا على الشخصيات لا على الخصوص و يختلف الشخص عن الشخصية بأنه الإنسان[4] ..

1- الطاهر وطار : أحد الأصوات المتميزة في مجال الرواية العربية وتوظيفه للشخصيات، و ترتبط نشأة الرواية في أدبنا العربي الحديث ، بمحاولات كتابها توظيف التراث في صياغة روائية تجمع بين القديم و الحديث ،مستهدفة الكشف عن الجوانب المشرقة في هذا التراث والتأصيل لفنون الأدب الحديثة، " كما نعتقد أنَ النص الأدبي بقدر ما هو في حاجة إلى ذات

---

[1]- مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 15 .

[2]- د. محمد حسن غانم: دراسات في الشخصية و الصحة و النفسية ، ص 19.

[3]- ينظر: عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد) ، ص 93.

[4]- عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سميائية مركبة لرواية زقاق المدن) ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1995، ص 126.

مبدعة و زمن ابداع لكي يرى نور الحياة ، بقدر ماهو مشروط بوجود ذات قارئة وزمن للقراءة حتى يعيش و يخلد " [1].

فإذا تتبعنا مسير الكتابات الإبداعية عند طاهر وطار، خصوصا في "الشمعة والدهاليز" و" الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" و "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " ،نجدها متسلسلة فيما بينها وهي تحمل رؤية فكرية و تعبَر عن واقع الكاتب الذي نتجت عنه شخصية روائية مضطربة فمرَة هي صوفية عبر فترات الغيبوبة التي يقع فيها الولي الطاهر ،كما أنَها تتعدد في أبعادها، فمرَة هي الكاتب نفسه و مرة أخرى هي مالك بن نويرة و هي المقاتل و غيرها.

أراد الكاتب من خلالها إعادة بعث حادثة دار حولها جدل كبير في التاريخ الإسلامي من خلال الشخصيات التاريخية، و تتمثل في مقتل "مالك بن نويرة" زعيم بن تميم على يد "خالد بن الوليد" –رضي الله عنه– و ذلك أثناء حرب الردَة. حيث تهيَأ للبعض أنَ خالد قتله بعد أن أعلن توبته و جهر بالشهادتين، بعد أن ذكَره بواجب الزكاة ،و أجابه مالك بقوله :" لقد كان صاحبكم يقول ذلك قاصدا الرسول– صلى الله عليه و سلم– فاهتزت بذلك حمية خالد و ازداد غضبه، قائلا صاحبنا أو ليس بصاحبك أنت أيضا..."[2] ثم قتله.

وهذا ما يدفع بالكاتب إلى حشد كل الوقائع التاريخية وقولبتها ضمن إطار روائي ، مستغلا قدرته على تصوير تلك الوقائع التي عاشها ميدانيا وإيمانه بتوجهه الإيديولوجي ووعيه بها وعيا كاملا[3] .

---

[1]– د. محمد بشير بويجرة : بنية الزمن في الخطاب الروائي (70_86) ، منشورات دار الأديب ، الجزء الثاني ،ص 3 .

[2]– الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليو ، ص 121 .

[3]– ينظر : ابراهيم عباس ، الرواية المغاربية (تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديواوجي) ، دار الرائد للكتاب ، 2005 ، ص 41 .

و قد ازدادت الحادثة تضخما مع مرور الزمن و حيكت حولها الروايات ،خاصة بعد أن وظَف فيها عنصر المرأة المتمثَل في" أم تميم" زوجة مالك بن نويرة ،حيث قال البعض إنَ "خالد بن الوليد" تزوج أم تميم في شخص بلارة، و يتقمص البطل في الرواية شخصية صوفية تعيش حالات من القتل العشوائي نتيجة الانحلال الخلقي و التخلي عن الدين و عدم المبالاة، و في خضم هذا الزمن ارتأى "الطاهر وطار" و قد وصف الراوي بكل شيء حلم به الجيل الجديد باستعادة تلك اللحظات المشرقة في التاريخ العربي و وضَح تمزَق هذا الجيل من حاضر قاتم يعيشه و ماضي مجيد يحلم به[1].و لما كان التاريخ يعيد نفسه بصورة جديدة ،فإنَ الإفادة منه تصبح لمن يريد فهم الحاضر حاجة ملحَة، و كأنَ الماضي تحول إلى مرآة كبيرة تنعكس عليها أحداث الحاضر.

يمكن أن يكون وراء توظيف النص الديني في الرواية العربية المعاصرة دافعاهما :

1".أن النص الديني في قسم منه، هو تراث قصصي لذا وجد بعض الروائيين أنَ تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى الموروث السردي الديني و الإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة.

2.-أن التراث الديني يشكل جزءا كبيرا من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي و قضاياه."[2]

كما وجد الكاتب الجزائري نفسه بين ماض بعيد و صدمات الواقع المتحول فكان يلتفت إلى الماضي ليستحضر حرب التحرير، يسائلها طورا و يتلذذ بذكرها أطوارا، و هو بذلك يحنَ إلى ماض مجيد يستأنس به ، و قد يوظفه لنقد الواقع." ما فتىء الخطاب النقدي الحديث يؤكد على

[1]- ينظر: محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ص16.

[2]- ينظر : المرجع السابق ، ص 120.

سمة انفتاح الجنس الروائي على غيره من أنماط الكتابة الأدبية و أشكال الإبداع الفني و قدرته على استيعاب مكوناتها الفكرية و الجمالية . وهو ما يعلل طابع الصيرورة الذي يسم هذا الجنس الأدبي بنيات وشكلا و أنساق خطاب ومستويات كلام ، فيكون لذلك في حالة تشكل دائم تتَخذ من البحث عن نمذجة كتابية مفقودة في الراهن منطلقا ، وهي النمذجة التي تتوق إلى تحقيق النص الروائي المغاير للسائد ، عبر مسالك التجريب التي تشكل مدارات تحولها وتغيرها لتعكس نزعة رفضها النص السابق ، وهاجس تجاورها له من خلال تدميره بعد مجاورته و محاورته "[1] .

فكان التراث المحلي هو الغالب، و كانت حرب التحرير هي الصورة الأولى التي ترتسم في الأذهان ، حيث استمر الأديب الجزائري" يسهم في سير الثورة ويقوم بدوره قي الصراع الحضاري و السياسي عن طريق الشعر و المقالة الفكرية و القصة القصيرة التي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعا رومانسبا واضحا "[2] . ثم انتقلت الكتابة الروائية لتطال التراث العربي الإسلامي. إنَ الحركة الأدبية في الجزائر ارتبطت بالتحولات السياسية منذ نشأتها، حيث بلغت درجة من النضج، و التميز في الكتابة الروائية على الرغم من أنَ عمرها الأدبي يعد قصيرا موازاة بالرواية العربية في نشأتها و تطورها، فتأخر ظهور الرواية العربية في الجزائر بشكل ناضح إلى ما بعد الاستقلال لأسباب عديدة أهمها ، ما تعرضت له الثقافة العربية في الجزائرمن

---

[1]– مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 242 .

[2]–– محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الإلتزام، الدار العربية للكتاب الجزائر ، 1983 ، ص 07 .

استئصال و إبادة في الاحتلال وعدم توفر الظروف المادية و النفسية و الذهنية لكتابة الرواية و قراءتها .[1]

2- أحلام مستغانمي : من المعروف في التاريخ الأدب الروائي، عربيا و عالميا ،أنَ أي عمل يجرد فيه من قصة حب، مهما كانت صورتها و أحداثها و دلالتها، قد يفقد جاذ بيتها عند القراء، فالحب فعل كوني و قيمة انسانية بهما تستمر الحياة و عليهما يقوم الفن بحيث "يعلم كل منا أنَ الروائي يبني أشخاصه ، شاء أم أبى ، علم ذلك أو جهله انطلاقا من عناصر مأخوذة من حياته الخاصة ، وأنَ أبطاله ماهم إلا أقنعة يروي من ورائها قصَته و يحلم من خلالها بنفسه" [2] .

لكن حب "أحلام مستغانمي" في روايتها " فوضى الحواس" كان مختلفا حيث تصور لنا المرأة وطنا كما أوحت لنا الرواية ،على الحب أن ينمو و يزدهر رغم كل ألوان الكراهية و العنف و الخراب التي يمر بها واقع الجزائر، إنَ شأن الوطن كان هاجس الكاتبة في رواياتاها، ذاكرة الجسد، فوضى الحواس ،عابر سرير .

اختارت الكاتبة أسلوب المزج بين الساردة و هي العاشقة، فهي تراقب العاشقين في قصتها ثم تتلبس دور العاشقة فيما بعد . فبينما هي تشاهد فلما سينيمائيا لبطلي قصتها الخياليين، يأتي رجل ليجلس جوارها و من خلال الكلمتين اللتين تفوه بهما في السينما عرفته أو كادت .فهو لم يقل سوى " قطعا" و"طبعا" و هاتان الكلمتان تدل على القطع و الحسم ،و كان الحبيب الأول في الرواية " ذاكرة الجسد" يحب القطع و الحسم.

---

[1]- ينظر: عبد الله ركيبي ، تطور النشر الجزائري ، ص16 .

[2]- ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة (ترجمة : أنطو نيوس)، ص 64 .

لذا تشك في أن يكون هو ذاته الذي ساقه القدر إلى السينما ذاتها ،لمشاهدة الفيلم ذاته و ليكمل القصة التي بدأت في الجزء الأول من المشروع الروائي. راحت الكاتبة تقول:" لم يكن مهما لحظتها أن تكون تلك المرأة التي جلست إلى جواره (هي) أو(أنا) فقد حدثت الأشياء كما أرادها في عتمة قاعة سنيما".[1]

و لئن كان الراوي في "ذاكرة الجسد" فقط جاء بصيغة المتكلم المذكر، فإنَه جاء في "فوضىالحواس" بصيغة المتكلم المؤنث ،و كانت العملية السردية تتمَ من زاويتين الرؤية من الأمام و الرؤية من الخلف، و من المعروف أنَ ضمير المتكلم في السرد كما يرى عبد المالك مرتاض حيث يجعل الحكاية المسرودة أوالأحدوثة المروية مندمجة في روح المؤلف فيذوب الحاجز الزمني، و من شأن ضمير المتكلم أنَه أيضا يستطيع التوغل في أعماق النفس البشرية فيغريها بصدق و يكشف عن نواها بحق... و هو أيضا يذيب النص السردي في النص. و يجسد الرؤية المصاحبة كما يقول تودروف، فكل معلومة سردية ،أو كل سر من أسرار النص السردي يعتدي متصاحبا مع الأنا السارد مع الأنا المستحيل إلى مجرد شخصية من شخصيات هذا الشريط السردي.[2]

بينما أنَ شخصية "خالد" هنا في "فوضى الحواس" كان الكاتبة، تخوض معه مغامرات حب و عشق و جنس، تقول من خلالها أشياء كثيرة .جاء خالد ليكون رمزا لفكرة رئيسية، و لا سيما أنَه كان أحد أبطال الثورة التحريرية في الرواية " ذاكرة الجسد"."لأنَ من واجب القاص أن يرسم شخصياته في اطارها العام و الخاص أي في تفردها و علائقها مع الأخرين ، ويشترط

[1]– احلام مستغانمي : فوضى الحواس ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1993، ص 59.

[2] – ينظر : عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 184 /185.

في ذلك أن يكون الوصف حيا بحيث يضفي على الشخصية حركة و دينامية مما يشوق القارىء إلى متابعة القصة ومن ثمَ إلى تفهم الأوضاع و المواقف "[1] .

حاولت الرواية الجزائرية تقريب الماضي بالحاضر ، وذلك بإيصال أفكار الروائي للقارىء عن طريق الكتابة الروائية ، وقد وفقت الروائية أحلام مستغانمي إذ نجدها تبث إهداءها في روايتها 'فوضى الحواس ' وقفة ترحم و إجلال على أرواح الشهداء هذه الرواية جعلتنا نتذكر الأيام الصعبة التي مرت بها الجزائر و الأرواح التي أزهقت ، مثل حادثة مقتل محمد بوضياف تقول : "وكان بوضياف في وقفته الأخيرة تلك موليا ظهره إلى ستار الغدر " [2] . و نجد أيضا "ثم راح يفرغ سلاحه في محمد بوضياف ، هكذا مباشرة أمام أعين المشاهدين ، ويغادر المنصة من الستار نفسه ، كنَا في التاسع و العشرين من حيزران ، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة و سبعة و عشرين دقيقة " [3] .

إنَ مثل هذه الأحداث تقترب من الواقع السياسي و الإجتماعي فتقول : " فما كادت الجزائر تنال استقلالها ، و يصبح الزعماء الخمسة أحرار حتى أرسل بن بلة وقد أصبح رئيسا من يقبض على رفيق نضاله محمد بوضياف في حيزران 1963 "[4] .

لم تقتصر على الوطن ، بل بحثت في سجلات تاريخية عربية كتلك التي تتعلق بحرب الخليج بين العراق و الكويت ، وكذا القضية الفلسطينية "ثم ما كادت الأحداث تأخذ منحى المواجهة

---

[1]– : د.محمد مصايف ،النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، ص372.

[2] –أحلام مستغانمي : فوضى الحواس ، ص 230.

[3]– المصدر نفسه، ص 240 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 241 .

العسكرية و التحالف العالمي ضد العراق حتى انحاز نهائيا إلى العراق مأخوذا بأم المعارك كان مثل الجميع يراهن على المستحيل و يحلم بمعركة كبرى تحرر بها فلسطين "[1].

حضور التراث في الرواية بشكل واسع ،تناول موضوعات متعددة ، يستند عليها كتاب الرواية ، وخاصة الكتاب الجزائريين وذلك لما يقدمه من مضامين ، ونظرا لطبيعة المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية ، فقد أعادت بعث عناصر تراثية بارزة في تاريخ الأداب العالمية، يتصل التاريخ بأحداث ثابتة في زمن محدد وانتقال التاريخ إلى النصوص الأدبية لا يعني هيمنته على السياق التاريخي بل على العكس . وتكون معالجة أحداث التاريخ أكثر حرية في التحليل و التأويل و الإ ستنتاج وفق التطورات التي ينفتح من خلالها النصوص الإبداعية الروائية على التاريخ[2] .والرواية بدورها لا يمكن أن تصور حقيقة التاريخ المطلقة بقدر ما تجسد موقفا أو رؤية لهذا التاريخ .

3- عبد الحميد بن هدوقة : وظفت الرواية الجزائرية من خلال تعاملها مع التراث الأساطير، و عليه فإن قراءة التاريخ من خلال الأسطورة، مكَنت الكتابة الروائية التي استرجعت التاريخ، أن تحقق تأثيرا بالفعل على المستوى الرؤيا و اللغة .و من بين الأدباء الذين وظفوا الرموز و الأساطير عبد الحميد بن مدوقة ،و من الأساطير أكثر توظيفا في الأداب الجزائرية ،أسطورة الجازية التي بقيت في الأذهان الشعبية و هي في معناها الشعبي امرأة بديعة الجمال و خارقة الذكاء،"فاستحضار التاريخ ليس لمجرد اسقاطه على الحاضر ، بل لطرح

---

[1]- المصدر السابق، ص128.

[2] – ينظر : عمر وعلان : الإيديولوجية وبنية الخطاب (دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة) ، منشورات جامعة منشوري ، قسنطينة ، 2004 ، ص 282 .

اشكالية العلاقة بين الحقيقة و الخيال و الوطني و اللاوعي ، بين التاريخ و الواقع ، بين التاريخ و التأريخ "[1] .

كان الهدف من توظيفها، إضافة دلالات جديدة أي اخراجها من سياقها الاجتماعي و التاريخي و الاشتغال عليها بصفة مبدعة ،و الوصول إلى تأسيس خطاب روائي جديد حول الأسطورة ذاتها للكشف عن قضايا اجتماعية و سياسية معاصرة ،كما وظفها الروائي عبد الحميد بن هدوقة في رواية "الجازية و الدراويش ".

فالرواية تتضمن العديد من القضايا و الموضوعات كالأساطير " وتتشكل أمام القارىء تحت ألف شكل ، مما يعسَر تعريفها تعريفا جامعا مانعا " [2]، وهكذا فالرواية تتَخذ في كل عصر مضمونا و خصائص فنية جديدة ، لذلك نستطيع القول " أن الرواية بنية لغوية دالة ، أو تشكيل لغوي سردي دال "[3]. لكن الروائي بتوظيفه لهذه الجوانب الثقافية، استطاع أن يجمع بين ما هو شفوي و مكتوب في الثقافة الشعبية الجزائرية و الجنس الروائي، أن يبدع شكلا فنيا راقيا راعى فيه الحداثة الأدبية " على اعتبار أنَ الرواية تعتبر جمالي لواقع معقد تتحكَم فيه عدة معايير متداخلة، يقصد إلى الكشف عن جوانب متعددة من هذا الواقع ،و أنَ الشخصية الروائية هي الوسيلة الوحيدة لذلك ،باعتبارها المجهر الذي تفحص بواسطته مكامن الواقع الاجتماعي الذي يشكل الرقعة التي تختبر عليها مدى مصداقية النظرة الفنَية للمبدع"[4].

---

[1] –د.بهاء الدين محمد مزيد : النزعة الإنسانية في الرواية العربية و بنات جنسها ، العلم والايمان للنشر والتوزيع ، ط1 ، الأسكندرية ،2007–2008 ، ص193.

[2]– عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، ص 11 .

[3]– ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة ، ص 05 .

[4]– محمد بشير بويجزة: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، ص 14.

كما يمثّل فنَ الرواية في عالم اليوم " أداة من الأدوات الفعالة في التعبير عن المواقف و القضايا و الأفكار و الإيديولوجيات و الفلسفات المعاصرة التي يصطدم بها ، فلم تعد ذلك الفن الذي يقدم المتعة الفنية أو التسلية الذهنية فحسب.بل صارالفن الذي ينضج بالرؤى و التصورات و الأحلام التي عند الكاتب ، ويسعى لتوصيلها إلى أكبر ح من الجمهور"[1].

إنَ الرواية الجزائرية عرفت الأسطورة بشكل موسع و يرجع الفضل في ذلك إلى الكتاب الروائيين الجزائريين، أمثال عبد الحميد بن هدوقة الذي ساهم في اثراء الرواية الجزائرية بالأسطورة التي تزيد من عمق الدلالة و الإيحاء كما يضفي عليها الطابع الفني .

فقد اشتغل الكاتب على الأسطورة أولا لغرض فني، و ثانيا أسطوري ايديولوجي لابراز الأفكار السياسية الاجتماعية و إدانة الواقع، كما فعلت أحلام مستغانمي عن ذلك المحيط السياسي و الاجتماعي الذي عاشته الجزائر في فترة معينة.

فكل فترة تسرد حقائق فترة معينة، كالفترة الاستعمارية أيام الثورة فترة الاستقلال، أو الارهاب ، " فالارهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع و قد لا تقاس بالمدة التي يستغرقها و لا بعدد الجرائم التي يقترفها، بل درجة وحشيتها و فضاعتها، و عندما يتعلق الأمر بالجزائر، فإنَ الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقايس جميعا، إذ استغرق مدة غير قصيرة و ارتكب جرائم كثيرة و ارتكبها بفضاعة بلغت أقصى ما تبلغه الهمجية لذلك فإنَ وقعه في القلوب و العقول قد يعادل و قع الثورة التحريرية..."[2] .

---

[1] – محمد حلمي القاعود : الرواية الإسلامية المعاصرة (دراسة تطبيقية) ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، 2000 ، دسوق ، ص13 .

[2] – مجلة عالم الفكر.، المجاد الثامن و العشرون ، العدد الأول ، الكويت ،1999 ، ص 304.

إذا كان عبد الحميد بن هدوقة يهتم بالقضايا الفكرية مسجلا مختلفة التطورات الاجتماعية مضفيا عليها جوا أسطوريا ، فإنَ الطاهر وطار لا يفصل بين التيار السياسي و الاجتماعي لعلاقتهما الوطيدة و المتفاعلة المقامة أساسا على التأثير و التأثر تتخللهما لمسات أسطورية، من خلال رواياته " اللاز" الزلزال" " الشمعة و الدهاليز"، هذه الأعمال التي تعتمد على الرمز و الأسطورة " فالحقيقة يضعها التاريخ و الخيال يضعه كاتبنا"[1] .

و استطاع الكاتب بقدراته الفنية الواضحة أن يصور المعاني و يحدد دور المثقف و وجوب إمكانية تعامله مع المجتمع، مع رفض عوامل القهر و التخلف و التمسك بالمعتقدات الخرافية و بالموروثات الشعبية التي تعكس المستوى الثقافي للإنسان الجزائري، لأنَ الأديب يعتمد أساسا على أنَ هناك صلة وثيقة بين الأديب و الواقع ، حيث يحاول تحديد مدى هذه العلاقة ، منطلقا من فرض يتمثل في أن كل عمل أدبي يتكون من عناصر ثلاثة : الأولى الذات المبدعة والثانية صور الحياة التي يطرحها الواقع ، أمام الأديب في الإيطار الإجتماعي الذي يعايشه والثالث موقف الأديب من الواقع ، أو رؤيته له ، هذه الرؤية هي التي تحكم علاقة الأديب بالواقع كما أنَها تحدَد له موضوع فنَه ، و الزاوية التي يتناول منها الموضوع و طبيعة الصور التي تكون لبنة هذا الموضوع [2] .

[1] –أحمد زلط : دراسات نقدية في الأدب المعاصر ،دار الوفاء ، اسكندرية ، 1999 ، ص 25.

[2] – ينظر : سيَد حامد النساج ، بحوث و دراسات أدبية ، مكتبة غريب ، ط2 ، الفحالة ، ص 93 .

لأنَنا نجد الباحث يحاول إعادة كتابة التاريخ في الرواية العربية المعاصر بإعتبارها الحركة الثقافية في المجتمع من جهة ،وحقلا ثقافيا مهما في الوعي الثقافي من جهة أخرى. وهكذا تحولت الرواية إلى مسرح المنافسات الفكرية لتجسيد طموحات ايديولوجية [1] .

فالتراث يحضر بكثافة و لا يرتبط بفترة زمنية محدودة ، بل يأخذ امتداده في التاريخ العربي حاضرا و ماضيا بحيث لا نشعر بأي انفصال بين الذات الكاتبة و ما تكتب ، ثم إنَ حضور التراث ، لا يأتي إعادة و تكرار استشهاديا يبرز العضلات الثقافية للأديب ، بل يتشابك خيوطا أساسية في النسيج العام للبناء الروائي ، فالتراث يستدعي بغرض التجاوز لخلق نص جديد مغاير[2] .

و لعل لظاهرة توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ما بذله بعض النفاد و الباحثين من جهود للعودة بالرواية العربية إلى تلك الأصول و الجذور التراثية بدلا من ربطها بالرواية الغربية .وقد وجد هؤلاء الباحثون أنَ كتب التراث تنطوي على ألوان كثيرة من القصص الديني والقصص البطولي ، وقصص الفرسان و القصص الإخباري و المقامات[3] ، قطعوا بذلك صلة الرواية العربة بالرواية الغربية ، و نسبوها إلى هذه الأشكال القصصية و السردية الموجودة في في كتب التراث . فجذبت الرواية إليها عددا أكبر من الكتاب بفعل ما أصبحت تحظى به من مكانة متميزة بين سائر الأجناس الأدبية ، وأصبح التراث ينحوا منحا جماليا ،بما ينطوي عليه

---

[1] – ينظر : ابراهيم عباس ، الرواية المغاربية (تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي)، ص 46.

[2] – مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ص 242 .

[3] –ينظر : مجمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ص 11 .

هذا التوظيف من بعد ايديولوجي سياسي .وانطلاقا من القراءة التي يتبناها الكاتب وظف التراث المتعلق بحرب التحرير ثم التراث العربي الإسلامي و التراث السردي[1].

إنَ حضور التاريخ في الأدب العربي لم يكن جديدا إلا أنَ الجديد هو في طريقة توظيف معطياته ، والكاتب لا يختار شخصياته التاريخية بشكل عشوائي وإنَما ينتقيها معتمدا على الدلالات . ثم إنَ " فرصة الكتابة نثرا تتيح مجالا أوسع للتعبير عن الحياة وواقع المجتمعات ، لأنَها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع ، كما تمنح للروائي حرية أكبر لأنَه يبتعد عن قيود الشعر " [2] . فالرواية إذن عالم شديد التعقيد إنَها شكل أدبي جميل " اللغة هي مادته الأولى ، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو ، لكنَ اللغة و الخيال لا يكفيان ، من أجل ذلك نلفي الرواية ، من حيث هي ذات طبيعة سردية قبل كل شيء ، تنشد عنصرا آخرا هو عنصر السرد ،أي الهيئة التي تتشكل فيهاالحكاية المركزية المتفرعة عنها حكايات أخريات"[3]. وهي من أهم و أخطر الإبداعات الفنية ، حيث كان لها الفضل أكبر في توضيح العلاقة القوية الكامنة بين الفنان وواقعه من جهة ، وبينهما وبين الظواهر الفكرية المستجدة من جهة أخرى،وذلك لكون أنَ الفنَ الروائي يتوفر على مساحة حديثة أوسع ، وعلى فترة زمنية أطول ، كما أنَه يحتوي ، على أكبر عدد من النماذج البشرية ، وهي تتفاعل مع بعضها ، أو مع الظروف المحيطة [4] . ولقد كان الحنين إلى الماضي ، دافعا ساعد كثيرا في عملية الرجوع إلى الماضي الذي كان له النصيب الأوفر في الرواية الجزائرية ، الذي خلف لنا شخصيات متنوعة ومختلفة الأهواء و الإتجاهات ، " فالتاريخ لايكتب مرة واحدة ، بل إنَ كل فئة تكتب بطريقتها،

---

[1] – ينظر : المرجع السابق، ص 105 .

[2]– محمد كامل الخطيب : الرواية و الواقع ، ص 107 .

[3] – عبد الملك مرتاض :في نظرية الرواية ، ص 29 .

[4] – ينظر محمد بشير بويجرة : بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، ص 201 .

وتفسر أحداثه بما يتناسب و مصالحها ، وتتعدد الموقف اتجاهه ، بتعدد فئات المجتمع و الأحزاب السياسية والمذاهب الدينية ، وهكذا فإنَ التاريخ يحدث مرة واحدة ، وقد شهدت الساحة الثقافية العربية محاولات لإعادة كتابة التاريخ العربي من جديد ، بدافع تجاوز التخلف الحضاري ، والضرورة الملحة لمساءلة الماضي "[1].

[1]– مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 122 .

الفصل الثاني:الشخصيات الفاعلة و المساهمة في البناء السردي

المبحث الأول :شخصيات سياسية و دينية

المبحث الثاني : شخصيات ثقافية

تعد الشخصية الفاعلة في الحدث من الأسباب التي تجعل الروائي محصورا ضمن قانونها التاريخي الخاص ، و توظيف الشخصية التاريخية في النص توجب على الكاتب أن يكون مطَلعا على الأحداث التي شاركت فيها و التي لم تشارك فيه . فالروائي حين يتخيل و يربط الأحداث يقدم لنا الشخصية التي يريد توظيفها في الرواية بصورة جيدة ."حيث لاتقف الصعوبات عند المرجعية التاريخية فحسب ، يل يتعدى ذلك إلى المرجعية التخييلية عندما تتورط الشخصيات التاريخية في حوار أو موقف مع شخصيات متخيَلة ، إذ لاتكفل لنا النصوص التاريخية دائما الوثائق التي نحتاجها"[1].

المبحث الأول: شخصيات سياسية و دينية

1 –الجازية :اتخذ الكاتب عبد الحميد بن هدوقة في روايته" الجازية و الدراويش" هاته شخصية تاريخية، فهي إضافة إلى جمالها الفتَان تحوز إعجاب كل من يراها فيغرم بها و يتمنَى لو أنَها له دون غيره، كما أنَها دائمة الجمال،جمالها لا يذبل ولا يزول، لها قداسة خاصة في نفوس أبناء الدشرة، فهي ابنة الشهيد الذي قتل بألف بندقية . وظف الأسطورة في الروايةحيث يقول : " ثم تخرج الجازية فجأة من الطفولة لتصبح الأسطورة : الحلم "[2] .

لكن جوهر الاختلاف هو الطريقة التي كان ينظر بها كل طرف إلى الجازية، فالدراويش يريدون بسط نفوذهم عليها و جعلها تحت هيمنتهم لما يعلمون من مكانتها عند الناس ،و من خلالها يمكنهم السيطرة على الناس كذلك .

---

[1]– ينظر : نضال الشمالي ، الرواية و التاريخ ، (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2006 . ،ص 224.

[2]– عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1983 ، ص 24 .

أما الطبيب فلم يكن يريد منها إلا أن تكون زوجة له تنجب له أولادا يساعدونه في الحرث و البذر و رعاية صفصاف الدشرة .

و الأحمر يريدها مغامرة تعيش أحلامه و يتخلص من حياة الدشرة البائسة ،غير أنَ ابن الشامبيط يريدها من خلال رغبته في امتلاك الجازية لتطهير ماضيه الملوث بدماء الشهيد. استحضر من التراث الجازية ، الجازية الروائية ذات الفتنة والذكاء و الغموض وأطلقها في القرية بين عشاقها : ابن الشامبيط الذي يدرس في أمريكا ، وعايد العائد من هجرته، الطيب بن الجبايلي ، الطالب الأحمر القادم من المدينة مع الطلبة المتطوعين ،وبهذه الشخصية وحفلة الزردة و رقصتها مع الطالب المتطوع ، عبرت الرواية عن امتياز لكاتبها .

فحين نجمع هذه الأحداث في الرواية و نحاول أن نربطها بالسياق الاجتماعي و السياسي الذي صدرت فيه الرواية، يتبيَن لنا أنَ الرواية تجعل لكل شخصية من هذه الشخصيات دلالة على كتلة اجتماعية أو واقع اجتماعي معين."والجنس الروائي بشكل عام يقدم أو يحاول أن يقدم امتلاكا جماليا و معرفيا للراهن التي تصدر الرواية أثناءه– زمانا و مكانا –و للواقع العام الذي يحاول الروائي اكتناه جوهره و تقديم رؤيته عنه و له"[1] .

فالرواية ظهرت للوجود سنة 1984 و يعد هذا التاريخ بداية ظهور الكثير من التيارات السياسية التي تريد اقتحام الواقع الجزائري،والجازية في هذه الرواية تمثل الجزائرأمَا الشخصيات الأخرى فهي ترمز للتيارات المتصارعة للحصول على قيادتها حسب نظر كل واحد ووجهته " إن هذه الفترة التي نزعت فيها الكتابة الروائية نحو توظيف التراث ،لم تعد هي الفترة السابقة والتي كان فيها المثقف العربي يواجه المحاولات الإستعمارية الرامية إلى محو تاريخه وطمس معالم هويته ، بل أصبح التراث طرفا أساسيا في المعركة الأساسية وفي السعي

[1] – محمد كامل الخطيب: الرواية و الواقع ، ص 15.

لإسترجاع هوية ضائعة أو تحديد معالم هوية مشوهة " [1] . وبما أنَ وطار ركَز على الأسطورة حتى يعمق الدلالة الرمزية أكثر ، فإنه قد أحاطها بأجواء وأحداث ، ساعدت على تأزم الأمور وعلى شد انتباه القارىء ، و بذلك تصور لنا رواية "الجازية و الدراويش" حرص كل تيار سياسي على مصالحه الخاصة دون مراعاة لمصلحة الوطن و مصلحة الشعب، " وهذا هو السبب الذي يدفع الروائي إلى تفضيل الأسلوب غير المباشر على الأسلوب المباشر ، بحيث تبلغ الرواية إلى أعلى درجة من الدرامية دون حاجة إلى تدخل الكاتب المباشر في أفكاره الخاصة "[2] .

لقد اكتسبت صورة المرأة دلالة واضحة في رواية "الجازية و الدراويش"، فالجازية (الثورة) عبَرت عن الثورة المسلحة باعتبارها فترة مفصلية في تاريخ الجزائر و عبر عنها القادة التاريخيون ." الجازية أخرجت الدشرة من سبات القرون أعطتها حياة خصبة، بدل حياتها الميتة، إذا سكتت هب الدراويش لإقامة زردة استرضاءا لها و استعطافا، كانت غريبة الأطوار لا تستقر على حال، عيونها تعد و تتوعد، بسمتها ترتفع إلى البعيد من السدم، لكنَها كالنور قربها محرق "[3].

[1] – مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 99 .

[2] _ حميد لحميداني : بنية النص الروائي (من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ط3 ، 2000 ، ص 15 .

[3] – عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش ،.ص 24.

عبرت الرواية عن اختلاف الأفكار، أكثر ما عبرت عن الواقع، بمعنى أنَها اقتربت من أن تكون رواية فكرية سياسية ، فقد كانت رامزة إلى اختلاف الأراء بشأن التطبيق الاشتراكي ." إن الجازية مغامرة و مغامرتها تجعلها تعيش في الزمن الذي لم يوجد"[1].

بحيث تمتزج الأساطير عند كثير من الشعوب بالتاريخ ،امتزاجا يصعب فيه أحيانا تخليص الواقع من الأسطورة و عزل التاريخ عما يشوبه من أساطير[2]. و بذلك تكون الشخصية قد نالت لدى الروائيين الجزائريين اهتماما كبيرا ، خاصة حول المضامين التي كانت تحملها ، كما اهتمت بإعطائها ، أبعادا عميقة في الدلالة و الرمز ، وكأنَ " الرواية في هذه الحالة لا تكسب شرعيتها من أدبيتها ، بقدر ما تكسبها بفضل الخطاب السياسي الذي تنحاز إليه ، و لذلك قد تصلح في كثير من المواقف وسيلة للدَعاية السياسية أكثر مما تصلح للمتعة الفنية ، وهذا أيضا ما يجعلها تتشابه سواء في أعمال الأديب الواحد أو بين أعمال كتاب مختلفين " [3].

فقد استحضر المبدع التراث فنيا و جماليا بطريقة تجعله يختار قارئه النموذجي الذي يجب أن يتوفر فيه قدرا من المعرفة و العلم يقدر بواسطته أن يصل إلى جمالية هذا التوظيف [4]. و يلجأ الروائيون في أعمالهم الروائية إلى" الشخصيات التاريخية لكونها تعكس المثال الذي يتطلعون إليه في مرحلة ما من تاريخهم "[5].

---

[1]– المصدرالسابق ص .27.

[2]– ينظر :محمد بلعربي: الأمير عبد القادربين الأسطورة والتاريخ (رسالة ماجستير) ، اشراف الدكتور مصطفى أوشاطر، سنة 2007_2008 ، ص 89 .

[3] – مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 114 .

[4]– د.محمد تحريشي : دراسات و ابداعات وزارة الثقافة ، دار الأهل للطباعة ، برج الكيفان ، الجزائر ، ص 55.

[5]– ينظر : د. ابراهيم السعافين ، تطور الرواية في بلاد الشام ، دار المناهل ، بيروت ، 1987 ، ص 122.

2 –خالد بن طوبال : أما أحلام مستغانمي في روايتها "ذاكرة الجسد" مغامرة للسفر في ذاكرة رجل جزائري و الإقامة في عالمه الحميمي و مقاسمته عمرا من النضال و الخيبات الوطنية والتناقضات الذاتية[1]، هذا الرجل الذي يشبه كثيرا والدها محمد شريف مستغانمي .

هذه الشخصية التي تحب وطنها،إذ أنَها الشخصية التي عاشت المنفى و التي شاركت في الثورة و الفن . شخصية " خالد بن طوبال" من منطور عاملي هي " الذات الفاعلة" في ذاكرة الجسد، أما عن وظائفها دلاليا أو عامليا ROLES Actantiels فهي متعددة، ذلك أنَ الشخصية تعيش في وسط خيالي مرتبط بمجموعة شخصيات ضمن علاقات تنتج عن الوظائف التي تقوم بها الشخصيات، و هي أساس وجودها في الرواية[2] . فخالد في الرواية هو الفاعل الرئيسي ضمن البرنامج السردي الأساسي programme و الذي هو إعادة استرجاع الذاكرة الصحيحة و الانطلاق منها، هذه الشخصية تمثل مجموعة من الأفكار من تمثيلها لدور محدد خاصة بالنسبة لحياة التي رأت فيه صورة أفكار والدها و حسه الثوري الصادق .

لقد كان خالد بالنسبة إلى حياة شخصية روائية تنتمي إلى الفئات الثلاث حسب تصنيف هامون السيميولوجي ،إذ نجده يؤدي وظيفة مرجعية fonction référentielle بحكم أنَه رجل الماضي و التاريخ و الثورة ،و بوصفه يمثل فكرة ورؤيا، و مرة أخرى يؤدي وظيفة واصلة fonction embrayeur ذلك لأنَ أفكاره نفسها الرؤية الإيديولوجية و الحياتية التي يحملها خطاب الرواية.

---

[1]– ينظر : محي الدين صبحي ، البطل في مأزق (دراسة في التخييل العربي) ، منشورات اتخاذ الكتاب الغرب ، دمشق ، 1979.ص 24.

[2]– ينظر : أحمد طالب ، الفاعل في المنظور السمائي– دراسة في القصة القصيرة الجزائريين – دار الغرب،الجزائر ، ط2 ،2002 ، ص 11.

و في المرة الثالثة يؤدي خالد الشخصية الروائية وظيفة تكرارية، fonction Anaphore فهو الشخصية التي وظفتها الكاتبة بهدف استدعاء نصوص غائبة، بل لاستحضار الماضي و جعله يعيش في الحاضر حاضر حياة.ولعل في عملية اختيار بعض المواقف من ماضي الشخصيات لدليل قوي على قداسة هذه الشخصية ، باعتبارها وسيلة للربط عبر هذه الأزمنة [1] .

الشخصية جاءت لإعطاء تفسيرات لما يحدث في الزمن الحاضر و علاقته بما مضى ايجابا و سلبا، إنَه همزة وصل بين النص الحاضر و ذلك النص الغائب، و في جميع الحالات خالد كان هو الفاعل و منطلق الأحداث و له علاقات مختلفة مع باقي الشخصيات .

كما نجد الروائيين ، يعتمدون على الشخصية المحورية اعتمادا كليا كما يركزون على "دراسة الأعماق النفسية و الأبعاد الإجتماعية و المؤثرات السياسية التي تتصل بهذه الشخصية سواء من بعيد أو من قريب ... وتقوم باقي الشخصيات في الرواية ، بإظهار هذه الإنعكاسات على نفسية البطل ، ومدى التأثير عليها أو التأثر بها ...وتكون نتيجة ذلك ، أنَ الرواية كلَها تحكي من خلال نظرة البطل إلى الأحداث الخارجية ، وتأثير هذه الأحداث الخارجية على الإنفعالات و الهواجس التي تدور في نفسه " [2] .ومن هنا نعتقد أنَ الرواية الجزائرية قد أعطت أهمية كبيرة للشخصية ، وأسندت إليها دورا بارزا في تعقيد الأحداث و تطورها ، وفي نمو شخصياتها .

3- <u>الولي الطاهر</u> : أماالشخصية الأسطورية والتي تتمثل في الأولياء حيث ورد ذكر الوالي" سيدي بولزمان" في رواية " الشمعة و الدهاليز" على أنَ الولي هذا يرعى أمور الناس و يبعث التفاؤل في النفوس للاعتقاد ببركته . ورد أول مرة بلسان " وريدة أم زهيرة" و ذلك عند

[1] – ينظر : محمد بشير بويجرة ، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، ص 114 .

[2] – المرجع نفسه، ص 145 .

رواية زهيرة لأمَها قصة الشاب الذي تراءى لها في المسجد و دعاها إلى صلاة العصر ثمَ اختفى فجأة، قالت الأم: " لا يكون سوى أحد جدودك من الأب طلع لك من الساقية الحمراء إنَ جدك بو لزمان حفيد الرسول الله (ص) ،زامن السيد البخاري و السيد عبد القادر الجيلاني ،و صلى مع الأولياء الصالحين، لا أحد يعرف مدفنه و تاريخ موته و ما إذا كان ميتا فعلا، يتحدث عن نسله جيلا اثر جيل نفس الحديث و ينتظرون تجليه من جيل لآخر مع أنَه لا يبخل عن الظهور إلا أنَه لا يظهر إلا لمن أحبَهم من ذريته ،و لا يظهر إلا في حافة الزمان ،ظهر في قرية أبيك غداة اندلاع الثورة لأكثرمن واحد و منهم أبوك يظهر شابا يافعا و مرة كهلا، شيخا هرما" [1].

اسم " بولزمان" مركب تركيبا اضافيا، أب أضيف إليه الزمن، اشارة إلى أن أزمات الشعب الجزائري أزلية، تعني كثرة الوضعيات المتأزمة منذ القدم.

و هذا النوع من التحليل على مستوى تجزئة الاسم إلى عناصره الأساسية " المورفيمات" تسمح تأويل مدلول الاسم حسب توظيفه في النص، يقول في ذلك فيليب هامون " و قد ينجح القارئ إلى عزل الجذر و اللواحق و السوابق داخل اسم العلم و يقوم بدراسة المورفيمات بطريقة استرجاعية و ذلك حسب مدلول الشخصية".[2]

و قد ورد على لسان زهيرة و أمَها عدة مرات، أنَ الشاعر قد يكون سيدي بولزمان ، رغم نفور وردية من الشاعر الذي استولى على عقل ابنتها ،ورغم أنَ عائلة زهيرة تضم بين أفرادها من يحمل الشهادات الجامعية، و يفترض أن يحدث الجامعي تغييرا فيما تعلق في ذهن الأم و الأب من معتقدات خاطئة لا تستند على العقل. لكنَ الواقع أظهر العكس ،فالأم استطاعت أن

[1]– الطاهر وطار : الشمعة والدها ليز ،دار الهلال ،القاهرة ،1995 ، ص89 .

[2] – فليب هامون : سميولوجية الشخصيات الروائية (ترجمة سعيد بن كراد) ، ص 55.

تؤثر في بناتها الجامعيات لصحة ما ينسب إلى " بولزمان " ،وعائلة زهيرة إذ ما هي إلا عيَنة تمثل جميع فئات المجتمع، لكن في العمل الابداعي تعد هذه الشخصية الأسطورية رمزا أي أنَها ترمز إلى ضياع الشعب، فالإنسان كثير ما يقف حائرا أمام بعض المصاعب التي تعرض حياته و يتمنَى أن تتحقق الخوارق، فكذلك الشعب بمختلف فئاته أمثال عائلة زهيرة يعبرون بالالتجاء إلى بولزمان عن هذا الضياع.

فبطل الرواية هو الولي الطاهر، قدَمها لنا المؤلف في روايثة "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" على أنَها الشخصية الفاعلة، حيث نتعرف على الولي الطاهر أولا و من خلاله نتعرف على الشخصيات الأخرى . موضوع الرواية هنا هو الإرهابي الصوفي ، الولي الطاهر الذي يعود إلى القصر (مقامه الزكي) المشتمل على مجموعة من المريدين و المريدات ، فيجد بعد غيابه أوضاعا عليه اصلاحها ، فالقصر به جنَية تراود المريدين عن أنفسهم ، فتزورهم مساءا فيلتبس الوضع عندهم ، وبعدها يتوجهون إلى الولي حتَى يحلَ الإشكال "[1] .

و قد جمع الطاهر وطار في هذه الشخصية كل التناقضات، شخصية متعدَدة الوجوه فمرَة بطل صوفي، و مرَة انسان مسلم تائه ، و مرَة حاكم متسلط و ارهابي، و تعدد الوجوه هذه اقتضتها منزلته في الرواية إذ هو البطل، و من الوجود المتعددة للولي الطاهر:

البطل الصوفي: فهو يعيش خارج الحضارة ، في الوقت الذي حققت فيه الشعوب الأخرى الرفاهية عن طريق استثمار العلوم ، فهو يركب عضباء في عز غزو الفضاء، بها يتموج ."خف الإيقاع و لم يكن هناك لا نور و لا ظلمة، لابياض و سواد الأعين مغمَضة

[1] – سعاد عبد الله العنزي : صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دراسة نقدية ، دار الفراشة للطباعة و النشر ، الكويت، ط1 ، 2010 ، ص 49 .

والأيدي كما الصدور تعلو و تنخفض ...يهزني الهفو فأهفو لحبيبي حيث يشاء يقرني فلا أنسى و يسر في اليسرى"[1].

عندما وقع الولي الطاهر مصروعا وسط الحلقة" توقف الهيجان و كبر الناس..."[2] ،فهو مرَة يهرب من جلده ،و مرَة ينشد إلى الماضي، إلى حنين عصورمضت ثم هو في العصر الحاضر.

مسلم تائه: نجد الروائي يصف كيفية صلاة الولي الطاهر" قرأ الفاتحة و صورة الأعلى و توقف عند الآية:(سيتذكر من يخشى و يتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها و لا يحي...) ، و في الركعة الثانية وجد نفسه يتلو " ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا عليه الشمس دليلا "[3].

فالولي الطاهر الذي يحاول إقامة دولة إسلامية لا يحسن حتى إقامة الصلاة، فهو إذا ما قرأ مصليا يقرأ القرآن منكوسا .

الإرهابي: نجده يمتلك كل مواصفات الإرهابي بحيث يصدر الأوامر يقتل الأبرياء "توزعوا على كل بيت، و لا تبقوا لا على من جرت عليه الموسى و لا من لم تجر عليه، من حاضت و لم تحض عدا من يعن لنا سبيهن" [4]، و تعدد هذه الأدوار في الشخصية الواحدة جاء للكشف عن سلبيات المجتمع الجزائري خاصة و المجتمع العربي و الإسلامي عامة.

استخدم الكاتب التصوف ، لأنَه مصدر ديني مؤثر ، والعلاقة بينه و بين الكتابة الأدبية تكمن في كون المتصوفة يعتزلون الحياة بحلوها و مرها ، ويهربون عنها إلى الجبال و الكهوف زاهدين فيها ، فقد وهبوا حياتهم لحب الله و طاعته ، وبما أنَ الرواية هي اللسان

---

[1]– الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ،منشورات التبيين ،الجزائر ،1999 .ص 68 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 158.

[3]– المصدر نفسه ، ص 191.

[4]– المصدر نفسه ، ص73.

الناطق و المعبَر عن هموم المجتمع ، فإنَها عملت على توظيف التراث بشتى أنواعه للتمكن من ايصاله . إنَ توظيف التَصوف من طرف النص الروائي " مظهر من مظاعر التجديد حيث كان التصوف في القديم مظهر من مظاهر التعبد ، ثم اتسم بطابع الرمز و الغموض حيث استخدمه أصحابه كأداة لستر عيوبهم و أخطائهم عن عيون النَاس ثم أصبح مظهر من مظاهر الكتابة الروائية ، إذ أضفى مسحة جمالية على الفن الأدبي عامَة و الرواية بخاصَة "[1] .

الولي الطاهر في الرواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" شخصية رجل صوفي، حيث يجعله الكاتب يعيش أجواء صوفية بعيدا عن واقعه، منعزلا يعيش نوعا من الإنفراد في مقامه الذي يخلو من المريدين و المريدات .

فهذا المقام هو الذي يمارس فيه عباداته و تنسكاته ، و في خلوته هاته، يدعو المولى دائما إلى أن ينجيه مما يخاف(يا خافي الألطاف نجنا ممَا نخاف) ، فهذا الدعاء يجسد لنا طبيعته النفسية المبنية على الخوف و التي لا تفعل أي شيء لإزالته سوى الدعاء. إلا أنَه سيغير دعائه لأنَه رأى أنَ لا شيء يتغير والحال كماهو ومن ثم سيعمد إلى تعويضه بدعاء (يا خافي الألطاف سلط علينا ما نخاف) ففي غمار هذا الدعاء يبدو الولي في ابتهالات و صلوات صوفية يظل يكرَرها إلى أن يستجيب الله لدعائه، يقول السارد:

"ظلَ يصلي و يكرَر الدعاء تسعة و تسعين مرة اثر كل ركعتين ، الله وحده يعلم كم زمنا انقضى على التوسل الحثيث أمام باب المعشوق، حتَى خيَل إليه أنَه ينفتح و أنَ صوتا ملائكيا يأتيه: ابشر أيها الولي الطاهر، ربَك استجاب لدعاء ظلَ ينتظره منذ سقوط الدولة العباسية. تجاهل الصوت و ما يقول و واصل الصلاة و الدعاء. و في كل مرة ينتهي من الدعاء ترتفع الحمى، فتزداد اشتداد عليه و يزداد العرق انصبابا من كامل جسده حتَى أنَ لحيته ثقلت من

[1]– واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 107 .

البلل. فعند باب المعشوق، ينسى العاشق سبب التوسل ، و إلا كان عاشقا مقايضا يعطي و يأخذ"[1] .

إنَ الولي هنا يرسم حالة الابتهالات الصوفية و تضرعاته إلى المولى من أجل تسليط كل ما يخاف منه، فيتوسل و يتوسّل إلى أن يستجيب الله لدعائه الذي ظلَ ينتظره منذ سقوط الدولة العباسية. و هذا الدعاء يمكننا أن نعتبره بمثابة توسلات حققت كل ما يخاف منه العرب، ابتداء من نفاذ بترولهم و تحول لباسهم إلى الأزرق، لكنَ دعاء الولي ماكان ليتغيَر لو لا شخصية بلارة ،هذه المرأة التي ستمح بعض صفات الولي.

فإذا كانت دلالة الولي تشي بالتدبير و القدرة و الفعل و تتوسل الحدس و تكشف لنا بعض ما يغيب عن النَاس، فإنَ كل هذه الدلالات تفتقدها شخصية الولي و توجد في شخوص الرواية الآخرين.و هذا و إن يدل على شيء فإنَه يدل على أنَ هذه الشخصية تتَسم بالسلبية، إنَها تفتقد أبرز ما يميز شخصيتها،وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنَ شخصية الولي ما هي إلا شخصية الإنسان العربي الذي بدأ يفقد نوعا من خصوصيات العربية الإسلامية ، "فالدلالات داخل النص وكما هي في النظرة البنيوية ، موظفة في اتجاه انتاج البنية "[2].

4- بلارة : هاته الشخصية التاريخية هي جزء من الحدث، استدعاها أو وظَفها الطاهر وطار في روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، فكانت تابعة للشخصية الرئيسية و مرآة لها ،أي للولي الطاهر، إذ يصفها الكاتب بأنَها : "بيضاء مستديرة الوجه، عيناها كبيرتان كالحنا السوداء ، فمها صغير مستدير، أنفها الأفطس يضفي على ملامحها مسحة حرة أو لبؤة"[3]

---

[1] – الطاهر وطار: الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، منشورات الزمن ، الدار البيضاء ، 2005، ص 71.

[2]– يمنى العيد : في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي) ، دار الأداب ، بيروت ، ط3 ، 1999 ، ص 49 .

[3]– الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، ص 69.

و إلى جانب هذا الوصف الخارجي يصف سلوكها بالمبادرة و الشجاعة ." لم تنتظر أن يؤذن لها لا بالسفور و لا بالجلوس كانت هي هي لكن تمضغ علكة في وقاحة بينة"[1] .

"كانت شبه عارية طرحت جلبابها، ثم قميصا حريريا و رديا، ثم سروالا جينز بعضه مبيض و بعضه يحتفظ بزرقته الدلماء، و قذفت بحذائها ذي الكعب العالي، بعيدا عنها غير مبالية بموقعه".[2]

أما الذي تريد أن تحقَقه رفقة الولي الطاهر، فهو" أن تتجب منه و لذا يكون كل النَاس و هؤلاء النَاس هم أصحاب حضارة و تطور."[3]

فهو على لسان بلارة ،كما يقول الروائي" الذي حملني التلفاز إليك من عندهم هم كل الناس صينيون أمريكان هود ، ألمان ، فرنسي ، مسلمون، مسحيون، يهود ، هندوك، عبدة شمس و أوثان."[4]

وهذا المشروع يتناقض مع مشروع الولي الطاهر الذي هو إقامة الدولة الإسلامية لأنَه يدعو إلى الديمقراطية الحديثة التي تسمح بتعدد الأعراق و الأجناس و الديانات .فبلارة إذن تسعى جاهدة إلى إقامة مجتمع علماني ،جاء الولي الطاهر ليوقضه من خلال تحليل صورة بلارة في الرواية، نجدها ترمز إلى الجزائر و لعل أدل معنى على جزائريتها و صفها بالفتنة الأمازيغية.[5]

أما بلارة في رواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" هي شخصية متعدَدة لها أكثر من صفة، فهي تحضر في الرواية إنسانة، عندما تبدأ في سرد حكاية زواجها من "علناس" هذا الزواج

---

[1]– المصدر السابق ، ص 83.

[2]–المصدر نفسه ، ص86.

[3]–المصدر نفسه، ص 86.

[4]– المصدر نفسه ، ص 84.

[5]– المصدر نفسه ، ص 84.

الذي دفعها إلى أن تضحي بنفسها من أجل أن تقي قومها شر الحروب و ويلاته ،و هنا بلارة تحضر بعقلها ،كما أنَها تحضر بصفات الجنَية ،عندما تحاول إغواء الولي و تضليله فهو يقول :" لو أنَني متأكَد ممَا تقولين أيتَها الجنَية لتزوَجتك على بركة الله و سنَة رسوله "[1].

و قوله أيضا "و هل لله دم يابنة النار"[2] ، فهي في لحظة تمثَل حالة إغواء شيطاني، تريد تضليل الولي و لكنَه لا يعبأ بها و لا بقتراحتها، فيقتلها حرصا على دينه. و بالإضافة إلى هذا فهي تحضر أيضا في صورة ملائكية، حيث تكون ملائكية عندما يخاطبها الولي بقوله :" متى تنزلين يا ابنة النور؟ "[3] . فاكتسابها لهذه الصفة أدَى إلى ظهورها بشكل مخالف للصفات الأولى، فهي تكشف عن أسرار لا يعرفها الولي، إنَها بهذه الصفة تتقاسم مع الولي حالته الصوفية.

إنَ ظهور بلارة بهذه الصفات المتناقصة، إنسية شيطانية، ملائكية، ماهي إلا إشارة إلى تلك التناقضات التي يعيشها العالم العربي، فلا هو بالمتمسك بشرائعه العربية الإسلامية و لا هو آخذ بالتطورات ، " فالدين في حكم "وطار " ليس منفصلا عن الحياة السياسية و الإجتماعية "[4].

---

[1] – المصدر السابق ، ص 15.

[2] – المصدر نفسه ، ص 17 .

[3] – المصدر نفسه ، ص27 .

[4] – مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 112 .

المبحث الثاني: شخصيات ثقافية (فكرية و أدبية)

1- عبد الرحيم فقراء: يعد " عبد الرحيم فقراء" الشخصية الفاعلة في رواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"، الشخصية الإعلامية التي تحضر في كل مكان، تحت اسم واحد هذا الاسم الذي يقول عنه المذيع :" و نلفت انتباهكم سيداتي سادتي إلا أَننا جميعا تسمينا بعبد الرحيم فقراء، حتى لا نضطر للتفكير في أسماء بعضنا كل مرة فيضيع وقت ما أحوجنا إليه، فمراسلونا يبثون في كل أنحاء العالم ثمَ إنَ لهذ الإسم بالذات ايحاء معين يرتبط بالمثقف و برجل الإعلام"[1].

إنَ اسم عبد الرحيم فقراء ، شخصية مثقفة تم اختيارها بعناية ملفتة حيث أنَ الكاتب وظف اسما واحدا من أجل تحقيق وظيفتين فنية و دلالية ،فالأولى تكمن في اقتصار الروائي على اسم واحد قد كانت الغاية منه عدم اتلاف القارئ بكثرة المراسيلين حتَى لا تضيع منه معاني النص أمَا الثانية فتكمن في أنَ الكاتب دائما يسعى إلى توظيف و ادراج الإنسان العربي المثقف ،و هو بذلك أدرج هذا الإسم الذي من خلاله يؤشر عن رسالته الموجَهة إلى القارئ ، " فلكل شخص حقيقة و شخصية "[2].

إن كان هذا يجعلنا نقول بأنَ "اسم عبد الرحيم فقراء" قد تمَ توظيفه بطريقة ذكيَة من طرف الكاتب، فاستدعاؤه لهذا الاسم حقَق من خلاله مجموعة من الغايات .أولا نقل الحدث من مكانه

---

[1]- الطاهر وطار : الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، ص89.

[2]- جيرار جهامي : المصطلحات الفلسفية عند العرب (سلسلة موسوعات المصطلحات العربية)، ناشرون ، مكتبة لبنان ، 350 .

و تقربيه إلى المتلقى و ذلك من أجل أن يعي الإنسان العربي حقيقة واقعة هذا من جهة، و من جهة أخرى لاستدعائه لهذا الإسم غاية في نفسه .

فمن خلاله حاول أن يعبَر عن آراءه و أفكاره و ذلك بتمريرها عبر هذا الإسم من دون أن تظهر لنا تدخل شخصيته بشكل مباشر.نستنتج مما سبق أنَ الشخصية الروائية هي ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا "وقد تعتبر الشخصية محور الأفكار ومدار المعاني التي تحي في وسط مجموعة من القيم الإنسانية التي يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلا على الوعي العام "[1] .

2- الشاعر: كتب الروائي طاهر وطار روايته" الشمعة و الدهاليز" و الرواية مهداة إلى روح الشاعر و الباحث يوسف السبتي، أستاذ جامعي .و الشخصية المركزية في الرواية شاعر و عالم اجتماع عايش فترة الاحتلال طفلا ابن قرية جبلية، التحق بمدرستها المخصصة للمحظوظين من أبناء الموظفين في الإدارة الفرنسية، والده كان يحلم له بمنصب رفيع حين يجيء الاستقلال أما هو فكان يريد أن يكون (عازف ناي) في الأعراس ،انتقل إلى الثانوية (الإسلامية الفرنسية) بمدينة قسنطينة، انفتحت شهيته على القراءة فأصبح مدمنا على المطالعة في الثانوية و معروفا بالمهاتما غاندي، مظهره بيعث على الضحك غير أنَه ذكي جريء و سريع البديهة .

البطل الذي أصبح معروفا فيما بعد ب (هارون الرشيد) ،لا يكف عن تدعيم أحاديثه و تداعياته بحكم المتصوف و أقوال المعتزلة و أقوال حمدان قرمط ، تروتسكي أبو ذر الغفاري... لا يكف عن انتقاد الوضع بمرمته، الصحافة، التعليم ،السياسة . لأنَ المثقف " هو ذلك الإنسان الذي

[1] – أحمد طالب : الفاعل في المنظور السميائي ، ص 12 .

يدرك و يعي التعارض القائم فيه ، وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية و بين الإيديولوجيا السائدة ، وما هذا الوعي سوى كشف للنقاب عن تناقضات المجتمع الجوهرية "[1] .

البطل الإنسان الشاعر و عالم الاجتماع ،مجموعة هواجس تساؤلات ،عشق عزلة تمزقات...عندماكان طالبا كان يعشق الفلكلور و العزف على الناي، اغتنم فرصة حفل نهائي السنة الدراسة ليقدم نشاطا مختلفا عن الحفل ذي الطابع الفرنسي، لقد قرر أن يجسد على الخشبة (رقصة مرواح الخيل) ، رقصة الفارس المغوار (الفارس البربري العربي) ببرنوسه الأبيض

إنَ الفرق الأساسي بين ما هو تخيلي و ما هو واقعي كامن في الوسائل التي يضعها الإبداع الأدبي أمام قراءه، و الشرط الأساسي لتحقق ذلك في أي نص أدبي ،هــو أن تكون بنيته مفتوحة على قراءات احتمالية متعددة.[2]

فرقصة الشاعر هي الرقصة التي ظلت تسكنه طيلة حياته و في غمرة التحولات و مظاهرات المدينة و في عزلته بمنزله، يخرج البرنوس من حقيبته العتيقة ، و على إيقاع فلكلوري مسجل على شريط كاسيت انخرط في رقصة صوفية مجنونة، الجزائر سليلة الشياطين و الملائكة البحر، البر ، التل الصحراء، البربري العربي، الروماني، الواندالي ، الأبيض ، الزنجي، ابن الوطنية و الخيانة، القاتل، المقتول. كل ذلك كان يتداعى في خلده و هو يصول و يجول إيقاع الأغنية، و إيقاع التاريخ يخترق رأسه و يعصف بها ، كأنَها تيهان، الكاهنة الأندلس، بربروس أوغستين ، الأمير عبد القادر ، العارم و الخيزران الثورة . رقصة مرواح الخيل و تساؤلات يبحث لها عن إجابات لها في الواقع، وفي التاريخ، و في المرأة. موضوع الرواية على صلة

---

[1] – مجلة فكرية ، دار الهدى للطباعة ، عين مليلة ،2004 ، ص 110 .

[2] – ينظر :عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التكفير ، منشورات النادي الثقافي ، السعودية ،ط1 ، 1985 ،ص120.

مباشرة بالأسئلة التي أفرزها الواقع المحلي و الدولي، و هي الأسئلة التي ظلّت تعصف بالواقع الجزائري ما الذي حدث ؟ من المسؤول عن زرع الرعب و الموت ؟ من يقتل من ؟

و هذا ما نجده في نهاية الرواية ،النهاية المأسوية التي باغتت البطل، حيث سبعة ملثمين و في ساعة من الليل يقتحمون عليه منزله ثم يشرعون في محاكمته .

المحاكمة كانت محاكمات ،أو هكذا أرادها الكاتب أن تكون ،كل ملثم يمثل جهة أو تيارا أو موقفا.

الملثم الأول حكم عليه برصاصة في الصدر إعداما وطعنة في البطن، التهمة معاداته للنظام الجمهري الديمقراطي.

الثاني حكم عليه برصاصة في الرأس وطعنه في القلب ،التهمة ممارسة السحر و الشعوذة.

الرابع حكم عليه بالموت، التهمة الزندقة.

أما الخامس حكم عليه بالإعدام بعشر رصاصات في الرأس ،التهمة معاداته لفرنسا و الجزائر الإسلام و العروبة .

السادس مجموعة من الإدانات و السابع لم ينطق و لم يقدم أي شيء .كانت الشخصية بطل" الشمعة و الدهاليز" ينظر إليهم في حيرة من أمره ، قضي الأمر و نفذ الملثمون حكمهم فيه في اللّيل و في جوف الصمت، لقد تعلمنا أنَ الإعتماد على التاريخ معناه أنَ هذا الحقل يمكنه أن يوفر لنا ما قد لا يوفره لنا الحاضر . [1]

[1] – ينظر : حسن نجمي : شعرية الفضاء (المتخيل و الهوية في الرواية العربية) ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، ص 36 .

الفصل الثالث : الشخصيات المرجعية في الخطاب السردي

المبحث الأول :شخصيات سياسية و دينية

المبحث الثاني : شخصيات ثقافية

هذا النوع من الشخصيات هو إطار في العمل الروائي تدور الأحداث من خلاله ، ولكنَه لايشارك فيها مباشرة ، ومع أنَ كثير من هذه الشخصيات اكتسبت دورا فاعلا في التاريخ ، إلا أنَها لم تحظ بالدور نفسه في العمل الروائي" لأن القانون يختلف ، فمن كان بطلا في التاريخ يغدو شخصا ثانويا في الرواية ، و العكس يصدق في ذلك "[1]. إنَ الشخصيات المرجعية و التخييلية تتداخل فيما بينها ، في كون الراوي يتعامل مع شخصياته ،أيا كان نوعها ، ليس من خلال المعلومات التي استقاها عنها ، ولكنَه يعيد بناءها وفق المنطق الخاص الذي يحكم عمله الحكائي .

المبحث الأول: شخصيات سياسية دينية

ارتبطت الرواية بالتطور الحضاري و مختلف تحولاته و عبَرت عن الواقع بمختلف مظاهره ،و تأتي رواية "الولي يعود إلى مقامه الزكي" لتعالج مرحلة حساسة عاشها المجتمع الجزائري ،و هي مرحلة الإرهاب التي استغرق مدة قصيرة و ارتكب جرائم كثيرة و فظيعة بلغت حد الهمجية و بالتالي كان وقعه على القلوب و العقول و" رغم انشغال الناس اليومي و أرقهم الليلي فهذا لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله ، بل إنَ ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب التنصل منها"[2] .

فالشخصية التاريخية هي في الأصل تنتمي إلى التاريخ و يتنوع هذا عدة أنواع منها السياسية أو الدينية (صحابة و أئمة) أو الثقافية، حيث أنَ بعض الشخصيات ذات أكثر من مرجعية في

---

[1]– جورج لوكاتش : الرواية التاريخية ، ص32،33.

[2] – مخلوف عامر : الرواية و التحولات في الجزائر ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، 2000 ص 88.

التاريخ، مثلا خالد بن الوليد هو قائد و سياسي.غير أنَ هذا التوجه نحو بحث التاريخ العربي الإسلامي و توظيفه في الرواية سيأخذ بعدا أوسع و يكون المادة الأساسية في الرواية [1].

1- خالد بن الوليد: شخصية تاريخية إسلامية بطولية ، ارتسم إسمها بالفتوحات الإسلامية ، كان قائدا فذَا ، وصاحب خطط حربية محكمة ، ساهم في نشر الإسلام[2]. وظَفها الكاتب في روايته فقال : "بعضهم اهتم بخالد بن الوليد رضوان الله عليه ، وراح يتساءل عمَا لو نفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقيم الحد عليه من يكون الظالم ومن يكون المظلوم "[3]. استدعى الطاهر وطار هذه الشخصية التاريخية و الدينية من خلال حادثة مقتل مالك بن نويرة من طرف خالد بن الوليد، فهو لم يستحضر الخطاب التاريخي كما هو ، و إنَما انطلق منه ليكتب روايته محاولا البحث عن جذور الأمة الجزائرية بل العربية الإسلامية ككل. فالقتل يبقى مبرَرا تاريخيا، و نحن لا نجد تبرير القتل في الجزائر، لماذا نقتل بعضنا البعض؟ هل من أجل الحناظ على الإسلام و المسلمين مع أنَنا جميعا مسلمين؟

هذه الشخصيات التي تحيل على مرجع واقعي و تتمثل في الشخصيات التاريخية، و التي "نؤشر عليها بأنها ذات مرجعية واقعية تاريخية"[4] .هكذا أعاد التاريخ نفسه فكل حادثة تاريخية تستمر بشكل أو بآخر، و هكذا عادت حروب الردة و لكن بثوب جديد.

---

[1]– ينظر : مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 98 .

[2]– ينظر : علا عبد الرزاق، رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " (دراسة وتحليل) ،(رسالة ماجستير) ،اشراف الدكتور عبد العالي بشير ، 2008–2009 ، ص118.

[3] –طاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، ص143.

[4]– سعيد جبار : الخبر في السرد العربي ، ص 199.

كما أنَ أحلام مستغانمي قد وظفت شخصية "خالد بن طوبال" هذه الشخصية التي يمكن تصنيفها ضمن الشخصيات التاريخية ليس من حيث تاريخها و ما ضيها الثوري فحسب بل هي علاقة هذا الاسم و التاريخ العربي العريق .

إن اختياره مقصود ، فالعودة البسيطة إلى التاريخ العربي القديم نجد شخص :" خالد بن الوليد بن المغيرة* (ت 641م) من قواد فتح مكة مع النبي، سيف من سيوف الله، قائد و فارس شجاع ثقف بفنون الحرب"[1] .

و شخص خالد بن سعيد بن العاص (ت 635م) صحابي ،كان يكتب للنبي بمكة و المدينة[2] ونجد أيضا شخص خالد بن يزيد بن معاوية الأموي* (ت 704م) [3] و خالد بن عبد الله القسري *(ت 742م)[4].

---

[1]– المنجد في اللغة و الاعلام : جزء الاعلام ، دار المشرق ،بيروت الطبعة السادسة و الثلاثون ، 1997 ص 265.

[2]– د. عبد المنعم الحنفي : المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، مطبوعات مدبولي ، ط3 ، القاهرة 2000 ، ص 36.

[3]– محمد سقيف عربال ، الموسوعة العربية الميسرة : المجلد الأول (أ – س) ، دار الجيل ، 1995 ص 749.

[4]– محمد سقيف غربال : الموسوعة الميسرة ، المجلد الأول (ب_ز) ، دار الجيل ، 1995 ص 749.

*خالد بن الوليد : (ت21ه –743) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القريشي ، من أشهر قادة العرب وأحسنهم بلاء في حروب الإسلام الأولى ، حارب المسلمين في معركة أحد ، تولى قيادة المسلمين بعد استشهاد زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، و عبد اللّه بن رواحة ، فتمكن من انقاذ الجيش و العودة به إلى المدينة فلقبه الرسول – صلى الله عليه و سلم – سيف اللّه .

*خالد بن معاوية الأموي : حكيم قريش و عالمها اشتغل ، بالكمياء و الطب و النجوم فأتقنها و ألف فيها رسائل ، بويع الخلافة بعد موت أبيه ، فأقام ثلاثة أشهر ثم تخلى عنها لينصرف إلى العلم .

*خالد بن عبد الله القسري : والي العراق ، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك وظلها يليها حتَى عزله سليمان بن عبد الملك الخلافة ، ولمَا ولى هشام بن عبد الملك الخلافة ولى خالد على العراق .

يبدو أن أحلام مستغانمي في حنينها إلى الوطن و في حين كل العرب إلى ماضيهم ،خلقت شخصية و حمّلتها كل الموروث التاريخي. فهو رجل تاريخ بحكم مشاركته في حرب التحرير الجزائرية ، كما أنَه رجل الحاضر الذي رفض كل الإغراءات و فضل الابتعاد .

و بذلك نجد مجموعة من العلاقات، تقيمها شخصية "خالد" الروائية المتخيلة مع شخصيات "خالد" التاريخية الواقعة ،فهو الشبيه بالقائد العظيم "خالد بن الوليد" في عدم رضا الحكم و السلطات عليه، و الشبيه بالحكم " لخالد بن يزيد " في إيمانه بالثقافة و تلاقي الحضارات، و في ابتعاده عن السياسة و الحكم و تفضيله للحياة الخاصة كما يحب .

و هو الشبيه بخالد القسري في معاناته العذاب و التعذيب (الجسدي و النفسي) و الإقصاء و التهميش و الإبعاد.

حاولت شحن هذه الشخصية البطلة "خالد" بكل هذا الزخم الثقافي و التاريخي، فالفرق قائم بين النص المتخيل و الواقع .إنَ الشخصية مصدرامتاع و تشويق يستمدها الكاتب من الحياة المحيطة به فتكون متماسكة منفردة متكاملة منسجمة، و ممتلئة حرارة و مقنعة فنيا تترك في نفسنا أثر لأنَها أكمل من الواقع[1] ، تشعر بحريتها ، "بمجرد ما يكتمل خلقها ، تنال استقلالها الكامل "[2] . يبقى خالد من خلال اسمه وفعله في الرواية فهو حارب و عارض الجميع من خلال مشاركته (التي كانت ذرعه الواقي) ،هذه التي حاول من خلالها ترسيخها في الأذهان، خلوده و خلود كثيرين مثله من شهداء و مجاهدين الوطن الشرفاء الذين بقوا على الكلمة الواحدة

---

[1] –أحمد طالب : الفاعل في المنظور السيمائي (دراسة في القصة القصيرة الجزائرية) .ص 10 .

[2] – محمد مصايف : القصة القصيرة العربية الجزائرية في عهد الإستقلال – المكتبة الشعبية ، الجزائر 1982 ، ص 09 .

، شعار الجزائر منذ الاستقلال المجد و الخلود لشهدائنا الأبرار، التاريخ أصل كل شيء ومن لا ماضي له لا حاضر له، لأنَ الماضيهو الأصل.

2 – هارون الرشيد : ومن الأعمال الروائية في استدعاء التراث نجد أعمال " الطاهر وطار " بدءا من أول أعماله رواية" اللاز" إلى "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ، وفي نصه " الشمعة و الدهاليز " ، يقتحم الروائي أسوار التاريخ، فينبش في الماضي كي يعثر على هارون الرشيد يسعى من خلالها إلى التعبير عن الأوضاع المستقبلية التي تعيشها الجزائر ، هذه الشخصيةالدينية و التاريخية التي تشكل الهاجس المركزي في المتخيل السردي ، فهارون الرشيد في أحداث الرواية وفي عزلته ((اسلامي ، ملحد ، عميل أجنبي ، متآمر على فرنسا ، عاهر و مجنون ..)) [1]. إنَ توظيف الروائيين التراث بأنواعه المتعددة ، ((يعد مقياسا لتطور الفن الروائي ، ودليلا على الجهود الكبيرة التي بذلها الروائيون لتأصيل فن الرواية، ومؤشرا على تخلي الرواية العربية عن تقليد الرواية الغربية التي صبغت بصباغها مرحاة طيلة من تاريخ الرواية العربية)) [2] .

3- مالك بن نويرة : كان يدَعي الإسلام في حياة الرسول –صلى الله عليه و سلم– لكن بعد وفاته ارتدَ ، وهذا الذي دفع بخالد بن الوليد إلى قتله . وأنَ مالكا لماأدركه خالد بن الوليد ، أعلن إسلامه أمامه ، بغرض النجاة ولكنَ سيف خالد كان قد سبق عفوه .وهذا ماأثار الفتنة ، يقول الكاتب " بعضهم اهتم بإسلامه وهل كان إسلاما صادقا، إلى درجة أن يكون محلَ ثقة رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فيبعثه من جماعة المصدقين في العرب ...هل يمكن الشكَ في إسلام مالك ، إلى درجة قتله ؟ لو أنَ مالك لم يقتل ، هل كانت الحرب تتواصل و

[1] – الطاهروطار ، الشمعة و الدهاليز ، ص 28 .

[2]– محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 33 .

يسقط الضحايا ماسقط"[1]. فقد ركزَ على صدق إسلام مالك بن نويرة وعلى سرعة خالد في تنفيذ القتل .

4- بلارة : يوظَف شخصية تاريخية و هي شخصية " بلارة " التي أوقفت الحرب القائمة بين " بني مالك الناصر" وابن عمَه"تميم بن المعز" بقبولها الزواج مع المالك الناصر من أجل حقن الدَماء . لكنَ المؤلف يوظَف " بلارة" بشكل مغاير، فهي رمز الفتنة الأمازيغية رمز لتخلَي المرأة عن تقاليدها فتتحول إلى امرأة فاقدة للحياء و مثيلة لنساء هذا العصر، و بلارة تتحكم فيها قوى خارجية، تريد أن تمرر بواسطة مشروعها و ذلك بإنجاب نسل جديد " إنَ الذين أرسلوني إليك يريدون ملأ هذا الفيف بنسل خاص" [2] ، إنَما تمثل العولمة و المطامع الغربية، و تريد هدم الدين الإسلامي. و يستحضر كذلك لوصف الجهاد في العصر الحالي جهة الخوارج يقول:" فجأة رفعت الراية البيضاء من هنا و هناك تطلب وقف القتال... ظنَها الوليخدعته"[3].

و هنا إشارة إلى حادثة "صفين" حين رفعت المصاحف على آسفة السيوف، و كانت مجرد خدعة لإيقاف الإمام علي –رضي الله عنه– و نجم الصراع حول مسألة التحكيم، و خرج البعض عن علي –رضي الله عنه– و كفروا لأنَه رضي بالتحكيم و رأوا أنَ التحكيم، هو فقط لله ،و من هنا جاء الصراع حول السلطة، فحزب التحرير يرى بأنَه الأحق لأنَه حَرر البلاد من الإستعمار، والإسلاميون يرون ضرورة تبنَى نظام إسلاميى ،ومن ثمَ نجم صراع ، تحولَ إلى تقتيل عشوائي أدخل الجزائر في دماء سوداء .

---

[1] – الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، ص 42 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 08.

[3] – المصدر نفسه ، ص 08 .

إنَ استلهام الطاهر وطار للتاريخ الإسلامي بطريقة فنية، أعطى للرواية مقروئية واسعة ساعدت على إيصال حقائق ، حيث أنَ أزمة الجزائر كأنَما أعادت سرد تاريخ ظَلَ محبوسا بين دفَات الكتب ، ذلك أنَ الحاضر هو حصيلة حتمية ناتجة عن ماضي بجميع مخلفاته .

5-عمر بن الخطاب : قد وظَف الكاتب شخصية عمر بن الخطاب و هو صحابي و قائد محارب ، اتَسم بالقوَة حتَى أنَه كنَي بعمر الفاروق ، لقد أدرج الكاتب هذه الشخصية من خلال حديثه عن موقفه ، حيث أمر بقتل خالد بن الوليد قصاصا لأنَه تسَرع في قتل مالك بن نويرة في حين رأى أبو بكر الصديق –رضي الله عنه – بأنَ خالد قد اجتهد وأخطأ فله أجر الإجتهاد يقول السارد "مهما كانت بطولة خالد ،فليس فيها فتوة ، لقد كان عسكريا يتصرف كما يتصرف كل عسكري ،لا يهمَه من أمر الحرب سوى كسبها ، وسيحكم الله بينه و بين مالك بن نويرة ، غير أنَ مالكا وينبغي التسليم في صدق اسلامه ، تصديقا لعمر بن الخطاب ، يجب اضافته إلى من شرب كأس الفتوة و لبس سروالها "[1]. نستنتج أنَ الكاتب قد أيدَ موقف عمر بن الخطاب أي أنَ خالد بن الوليد قد أخطأ في قتل مالك بن نويرة .

و يذهب محمد عابد الجابري إلى التأكيد على أنَ مفاهيم الخطاب العربي الحديث و المعاصر لا تعكس لنا الواقع العربي الراهن و لا تعبَر عنه ،بل هي مستعارة في الأغلب إمَا من الفكر الأروبي، لترصد واقعا تحقق أو في طريق التحقق، و إمَا من الفكر العربي الاسلامي الوسطي حيث كان لها مضمون واقعي خاص، أو يعتقد أنَها كانت كذلك بالفعل ، ففي كلتا الحالتين هي توظيف من أجل التعبير عن واقع مأمول، غير محدد[2] .

---

[1]–الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، ص 143.

[2] – ينظر : محمد العابد الحابري ، الخطاب العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان، ط1 1999، ص 198.

إنَ القارىء لروايات الطاهر وطار يظهر بوضوح ، حرص الكاتب على توظيف الشخصيات الدينية ، فالنصوص القرآنية و المعاني المستوحاة من القرآن الكريم و الأفكار متعددة ،والسبب في ذلك يعود إلى أنَ الكاتب ذو معرفة واطلاع كبيريين بالتراث ، للإنتقال بالرواية إلى الأحسن .

استحضر الكاتب قصة سيدنا– موسى عليه السلام –في الصحراء من مصر إلى مدين، هروبا من ظلم فرعون، يقول تعالى: **{** قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ **}** [1]، و هي نفس الحالة التي عانى منها الولي الطاهر لكنَه لم يجد ضالته مثل سيدنا موسى عليه السلام، بل بقي تائها. كما استحضر دعاء سيدنا–نوح عليه السلام– إلى سفينته ، حين ركب الولي الطاهر "العضباء" متوجَها نحو المقام " **{**وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**}** " [2] .

و قصة سيدنا آدم وحواء عندما أغوته بأكل التفاحة ، و هو نفس ما فعلته "بلارة" عندما راحت تغوي الولي الطاهر و سألته ممَا تخاف : أهو خائف من اقتطاف فاكهة و هيها الولي ، و هنا استحضر قصة آدم وحواء و هو يبرىء آدم بقوله :" ربَما فكر آدم هكذا، بدأته الغواية من هذا الجانب فيه جانب تأثير حسرته و آسفه و الاعتذار إلى وقت آخر" [3] .

و قد أشار المؤلف أنَ بلارة ظهرت أمام الولي الطاهر لتراوده عن نفسه، شبه عارية بغية إغوائه و قالت له " هيت لك"[4]، فمثلما راودت زوجة العزيز ملك مصر سيدنا يوسف –عليه

---

[1]– سورة القصص : الآية 24.

[2]– سورة هود : الأية 41.

[3] –الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، ص 90.

[4] – الرواية : المصدرنفسه ، ص 98.

السلام – في الأية الكريمة : {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون }[1] .

و قد ذكر الأية الكريمة " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }[2] .

فالإنسان المتسرع لا يفيده الأسف ،لو حدث الحوار بين" عمر و أبو بكر" لما طالب أهل" مالك نويرة" بالثأر، و لو تحاورت السلطات مع المثقفين لما صعدوا إلى الجبال، و لو كان الدين أساسا لحضارتنا لما حدث ما حدث . .

6-الأمير عبد القادر: الكاتب الطاهر وطار في رواية "الشمعة والدهاليز" لم يكن استرجاعه لهذه الشخصيةهدفا تاريخيا، فالشخصيات التاريخية المذكورة لها شأن آخر غير التاريخ ، توظيفها يعطي بعدا خاصا للمغزى المعبَر عنه في الرواية، و هي كثيرة في الرواية و لا يمكن الإحاطة بها و إنما سنقتصر التركيز على البعض منها التي تبدو من خلال توظيفها أكثر دلالة في سيرورة موضوع أحداث الرواية .

يقول رولن بارث :" إن إشارة الكاتب إلى شيء ما بصورة عابرة في السرد لا بد أن يكون لها معنى فيما سيأتي من السرد، و ينبغي أن ننتظر أن يكون لذلك الشيء دورا فيما يأتي من بقية السرد"[3].

ذكرت شخصية الأمير عبد القادر "نموذج المثقف الجزائري في القرن التاسع عشر ، ذلك

---

[1]– سورة يوسف : الأية 23.

[2]– سورة النساء : الأية 94.

[3]– حميد لحميداني : الرواية المغربية و رؤية الواقع الإجتماعي ، دار الثقافة، 1985 ، ص29 .

المثقف الذي استوعب ثقافته التراثية الدينية ،وتمثلها أحسن تمثيل "[1]، في معرض الحديث عن واقع الجزائر الثقافي ، حين استعان الأمير بالدين في مقاومته كما استعانت به الثورة ، " ...كان قادة الحركة الوطنية ، يعلموا أنَ الشعب الجزائري ، ليس له سلاح ثقافي سوى دينه ، به استعان الأمير عبد القادر ، وبه الستعانت الثورة التحريرية "[2] . وورد ذكر الأمير على لسان الشاعر [3] و أشير إليه مرة أخرى بلسان الشاعر أيضا عند الحديث عن خصوصيات الجزائر الفريدة في العالم [4].كما ذكر ضمن الشخصيات التاريخية تحديدا بعد خير الدين بربروس، ثم أورده النص مرة أخرى على لسان الشاعر و هو يتحدث نفسه بأمور كثيرة من بينها الحديث عن تاريخ هذا البلاد.

إذ قال :" في هذا البلد ظلَ تاريخ ثورات الجماهير الشعبية مرتبطا بالقديسين و رجال الدين من عهد دوتانيوس إلى عهد المحاربة التي تعرف لها اسم غير الكاهنة إلى عهد المرابط عبد القادر الذي نصبَ نفسه أميرا" [5].

و تكررت مرة رابعة و هي مرتبطة بشخصية الشاعر أثناء استلقائه على السرير في انتظار النوم يذكر حياته الخاصة، الوحدة التي يعيشها، العزلة ،العزوبة، الزواج،... فقال الراوي المؤلف:

" و نام على مرأى من الجميع القديس دوتانيوس، الأمير عبد القادر، الأميرخالد ،البدو البربر..." [1] و أردف ذلك بشخصيات ثقافية فكرية و دينية و عالمية مختلفة الاتجاهات.

---

[1] – محمد بلعربي : الأمير عبد القادر بين الأسطورة و التاريخ (رسالة ماجستير) ، ص 24 .

[2]– الشمعة و الدهاليز ، ص 24 .

[3] – ينظر : المصدر نفسه ، ص 21.

[4]– ينظر : المصدر نفسه ، ص 28.

[5]– المصدر نفسه ، ص 143.

ما يلفت الانتباه في ذكر مقاومة الأمير أنَها ذكرت باسمه الخاص، فالمقاومة رغم تعدَد ايجابياتها في تاريخ الجزائر الحديث ، إلا إنَها تعد بمثابة انبعاث جديد للدولة الجزائرية و تعدَ مقاومة الأمير عبد القادر حلقة مضيئة في تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر و لعلَ ما ميَزها عن غيرها من الانتفاضات كونها نوَعت من الوسائل في المقاومة ضد فرنسا، إذ استعملت أسلوب الحرب و بناء الدولة و الدعم الديبلوماسي من الخارج، " انفتاح المحاولة الروائية الجديدة على التاريخ ، يتميز بكون العنصر الإيديولوجي يبقى على الرغم من وجوده الظاهر ، مهمشا وغير قادر على ضبط الحركة الروائية العامة "[2].

إنَ توظيف هذه الشخصية في مسار النص الروائي كون مقاومة الأمير عبد القادر منارة في تاريخ الجزائر الحديث، فهي من المرجعيات التي يستلهم فيها الجزائري أصالته واعتزازه بالإنتماء إلى هذه المقاومة التي تضاف إلى المنارات الأخرى السابقة من خلال هذه الشخصية ،أيضا إشارة قوية إلى تعلق الجزائري بدينه، فعندما يتعلق الأمر بالرواية في الجزائر ، فإنَ توظيف الدين لم يتخلص من النبرة السياسية وخاصة عند "الطاهر وطار" الذي حرص في أعماله على تجسيد الصراع السياسي الحاصل في الواقع ،والتي يلعب فيها الطرف الديني دورا أساسيا ، ويظهر بجلاء في روايته " الشمعة و الدعاليز "[3] .

إذ يقول النص أنَ الجزائري قد يتساهل في كل شيء إلا الدَين، فهو راسخ في هذا الوطن عبر القرون و تكاد تكون كل الدول التي تعاقبت على الجزائر اعتمدت في قيامها على عنصر الدين و كان مصدر قوتها، إلا أنَ الدعوة إلى قيام دولة دينية في زمن أحداث النص لا يخلو من

---

[1]– ينظر : المصدر السابق ، ص 149.

[2]– سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، ط2 ، 1993 ، ص 284 .

[3] – ينظر : مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 222 .

مخاطر. فالجوَ العام يملؤه الجهل و كثير من الدعاة إلى قيامها لا يعرفون من الدين إلا: إن شاء الله ،و السلام عليكم. فالجهل لا يبني الدولة، و قد أشير إلى ذلك في أكثر من مرة مثل ما ورد في النص : "الجهل يعم السطحية، الدجل يطغي"[1] .

و في مكان آخر :"... الانتهازيون يركبون موجة الدين ،الأجهزة تنشئ أخرابها و يستعمل إسلامها المهمشون في الحياة، يظنَون أنَ حجَة ،وجبَة ،و لحيَة، و إن شاء الله و السلام عليكم تصطنع مسلما شريفا"[2]. أورد شخصيات تاريخية سياسية إسلامية ،تمثل فترات مختلفة باعتبارها من المرجعيات الفردية قد ذكرت في النص أكثر من مرة، و كثيرا ما أوردها مجتمعه دلالة على وحدة الانتماء.

كما ذكر في رواية" الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" الأمير عبد القادر مع الشخصيات أخرى كطارق بن زياد، ، فكل منهم يمثل خطايا بمعنى يستعملها لإيصال فكرة ما و الأمير عبد الفادر يعتبر" من أهم و أعظم الشخصيات التي عرفتها الجزائر خلال القرن 19م نظرا للدور الذي لعبه في مقاومة الاستعمار الفرنسي و إعادة بعث و إحياء الدولة الجزائرية الحديثة "[3].

فالشخصيات بالنسبة لطاهر وطار وسيلة يستعملها لإيصال فكرة ما ،أي أنَ الفكرة عنده أهم شيء و لتصل تلك الفكرة للقارئ لا بدَ من تجسيدها في شخصيات تعبر عن أراء تلك

---

[1]– الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز ، ص 160.

[2]– المصدر نفسه ، ص 178 /179.

[3]– د.عميراوي احميده : الأمير عبد القادر و تيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر ، دار الهدى عين مليلة ، 1427–2006، ص 169.

الإيديولوجية.إنَ كل هذه الأسماء باستمرار نصادفها في كتب الأدب و الشعر و كتب التاريخ، إنَها بمعنى آخر شخصيات مستقاة من التاريخ العربي الإسلامي [1].

فيبدو الهدف من هذه الأعمال ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية بل معرفة الدوافع التي أدت بهم إلى التفكير و التصرف كما فعلوا ذلك تماما في الواقع.

7 – ماسينسيا : ذكرت هذه الشخصية التاريخية السياسية في رواية" الشمعة والدهاليز" لطاهر وطار على لسان زهيرة تعبيرا منها عن مدى تأثَرها بشخصية الشاعر المثقَفة، فزهيرة ذات المستوى التعليمي البسيط أصبحت في ظرف أيام قليلة تعرف ماسينيسا و انجازاته الحضارية وقد أشار النص إلى ما قام به من تحويل لبعض البربر إلى مزارعين و كذا القرى التي بناها و سيجها حفاظا له من البعض الآخر الذي ظلَ بدويَا.

بينما وردت أسماء أخرى مجتمعة عند الحديث عن الرقصة التي يقوم بها الشاعر، يتحرر من خلال هذه الرقصة من القيود. فاستعرض هذه الشخصيات " خير الدين بربروس يركب فرسا قاتل عقبة بن نافع، دونات القديس الثائر، أو غيستان المحافظ، دعوة تينهينات ملكة الهقار الملك يوغرطة"[2].

و ذكروا مرة أخرى مع اضفاء عليهم صفة الشهداء، استحضار أرواح الشهداء من الذين كانوا مع عقبة بن نافع إلى الذين كانوا مع الكاهنة و مع كسيلة"[3].

---

[1]– ينظر : سعيد يقطين ، قال الراوي : البنيات الحكائية في اليسرة الشعبية ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، ط1 ، 1997 ، ص115 .

[2]– الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز ، ص ،68.

[3]– الرواية : المصدر نفسه ، ص 185.

وردت أسماء أخرى في مواقع مختلفة "طارق بن زياد، موسى بن نصير، خالد بن الوليد، أبوذرالغفاري "[1] ،" عثمان بن عفان، معاوية بن أبي سفيان، عمر بن العاص ،طلحة و الزبير بن العوام ،عمر بن الخطاب"[2] ،" هارون الرشيد"[3] .

فقد أفرد المؤلف فقرة أورد فيها شخصيات مرجعية نسائية كذلك، حينما تحدث الشاعر عن زهيرة و أثرها في نفسه. فأخذ يتخيّلها أمور مختلفة باستفهامات ،فقال :" هل أنت العارم ابنة خالتي انسلت روحها من ملكة الأوراس الكاهنة، أو من ملكة الهقار تينهينان، أو من خديجة بنت خويلد ،أو من عائشة أم المؤمنين ، أو من زنيب أم المساكين"[4].

إنَ الحدود الأولى التي يضعها واط بين الواقعي و التخبيلي تتمثل في طريقة تقديم الشخصيات فنمط الشخصيات مقوم أساسي في تنميط كل عمل سردي[5].و هكذا فالنص يوظف هذه الشخصيات الجماعية و الفردية لهذه الأدوار التكاملية في المجتمع و لعل وجود رموز في تاريخ أمة من الأمم، تجعل الأفراد المواطنين يعتزون بهم و يكون ذلك مدعاة للحفاظ على الهوية وأصالة و الوطن.

إنَ هذه الشخصيات ايجابية كونها علامات لفترات زمانية مضيئة في تاريخ الجزائر و تأصيل عراقة هذا الشعب.

8-كليوباترا : حاضرة في الخطاب الروائي، أوردتها الكاتبة أحلام مستغانمي في ثلاثيتها و خاصة في قواض الحواس في قولها:" و كما كليوباترا التَي وضعت كل زينتها و

---

[1]- المصدر السابق، ص 191.

[2]- المصدر نفسه ، ص90.

[3]- المصدر نفسه ، ص 73.

[4]- المصدرنفسه ، ص 171.

[5]- ينظر : سعيد جبار ، الخبر في السرد العربي (الوابت و المتغيرات) ، ص 180.

تعطرَت و ارتدت استعدادا لموتها ذلك الثوب الذي رآها فيه انطونيو أولَ مرة، مثلما تجمَلت و ضعت عطر ذلك الرجل نفسه ذي أزرار الذهبية الكبيرة التي تمتد على طوله من الأمام، و الذي تعوَدت أن أترك زره الأخير مفتوحا و أضع معه زنارا أسود يشد الخصر و يرسم استدارة الأنوثة ... قطعا لم أكن أرتدي الأسود حدادا ، كنت باذخة و الحزن لا أكثر باذخة الإخراء مفرطة التحدي"[1].

تستدعي الكاتبة التاريخ الماضي، لتبرر للمتلقي حضور الشخصيةالتاريخية السياسية "كليوباترا" في ملامح هذه الشخصية، "يستمد فعل الكتابة لدى المبدعة الجزائرية الخاصة من الدور الوظيفي الذي يمكَنها من اثبات كيانها المختلف و تأكيد هويَتها الخاصة ،باعتبارما يتيحه لها من أشكال تحرر من أنواع القهر و الإستلاب التي تمارسها عليها سلطة مجتمغها الذكوري و تأكيد حقها في الإختلاف و التمايز ، وهو ماتعبر عنه الكاتبة أحلام مستغانمي في قولها على لسان حياة بطلة روايتها فوصى الحواس : وهل الحرية في النهاية سوى حقك في أن تكون مختلفا "[2] فتتداخل الشخصيات إذ تؤشر استعداد بطلة الرواية للموت، فتتداخل ملامحها مع ملامح كليوباترا ، و بذلك تعكس رغبة (كليوباترا /حياة) في التلذذ و من الانتحار في صورة تجعل منها بطلة للتاريخ.

فيكون ذلك "هدف العمل الأدبي هو جعل القارئ منتجا للنص لامستهلكا"[3] ، كما تستدعي شخصية كليوباترا مرة ثانية على التوالي في صياغة بنيتها السردية ،بما لشخصية كليوباترا من تأثير على الأنثى ذاتها من خلال إبراز فتنتها و بطولتها و دهائها.

---

[1]– أحلام مستغانمي : فوض الحواس ، دار الاديب ، بيروت ، ط16 ، 2007 ، ص 357.

[2] –د.بوشوشة بن جمعة: دراسات وابداعات وزارة الثقافة ،،ص61.

[3]– عبد الله الغذامي : الخطيئة و التكفير ، ص 233.

" إنَ جميع النساء على اختلاف أجناسهن و أعمارهن حفيدات كليوباترا، تلك الأنثى التي حكمت بلدا في عظمة مصر دون أن تغادر حمَامها"[1] .و من خلال الحوار الذي دار بين البطل و حياة (بطلة الرواية)، اثر اللقاء الأول يأتي ليجسد دلالة أنثوية تشترك فيها (الأنثى) ككل ،فلغة العطر في النص لا تتوانى في الكشف عن خفايا الأنوثة فيها و هي "عطر شانيل المفضل للرسام هو عطر مارلين هونرو، و خالد المصور"[2].

فيقول:" كما يمكن أن تفعلي- لو قرأت- ما فعلت جوزيفين بنابليون عندما أجبرها على مغادرة القصر ما فعلت ؟ رشت بعطرها غرفته، بما يكفي لابقائه خمسة عشر يوما محاصرا، حتَى تترك خلفها خيطا من العطر حيث حلَت"[3].

إنَ الدلالة هنا كامنة في استدعاء ولع كليوباترا بالعطر تدَل على قوة لغة العطر كسلاح للمرأة، و هو تأويل تؤكده الرواية من خلال استدعاء جوزيفين التي تدل على قدرة عطر بطلة الرواية (حياة) في أن يستقر في مكان لقائها بالبطل.

وقد تركت حرب التحرير بصماتها على سائر الروايات، و لكنَ حضور صورة الحرب يختلف من كاتب إلى آخر، فمنهم من يتذكر الحرب من باب التغني بالأمجاد و منهم من يسخرها بوصفها مرتكزا لنقد الواقع.[4]

وحب حياة لحبينها (خالد) يمثل عملا بطوليا تقاتل به الساردة أعداء الحياة و ذلك، إذا تتبعنا البطلة و هي في طريقها إلى شقة حبيبها وجدناها تقارن بين هيئتها و هيئة جميلة بوحيردهاته الشخصية الثورية ،فكلتاهما تقوم بعمل بطولي . فحين كانت جميلة بوحيرد تلبس لباس أوربيا

---

[1]- أحلام مستغانمي : فوض الحواس ، ص 332.

[2]- المصدر نفسه ، ص 193.

[3] - المصدر نفسه : ص 107.

[4] - ينظر : مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 105

سافرا في جزائر الخمسينات المحافظة، لتخادع الفرنسي و لتؤمن النجاح لعمليتها الفدائية المشهورة في مقهى (سيلك بار)، تأتي بطلة فوض الحواس في ثياب التقوى (العباءة و الشال) تمويها ،لتقوم بأكبر عملية تقوم بها امرأة في جزائر التسعينات، و هي عملية حب.

"إن جمالية النص ليست فيما يقول و لكن فيما يحدث في النفس و هذا هو الأثر"[1].

9- الخيزران : ورد ذكر الشخصية التاريخية في رواية "الشمعة و الدهاليز " حين تعرَف الشاعر و الأستاذ الجامعي على شخصية الفتاة زهيرة و التي وردت باسم الخيزران في مواقع سردية أخرى ، كما ورد الشاعر باسم هارون الرشيد في مواقع أخرى من الرواية . تعرَف الشاعر على الفتاة "الخيزران " ، وقد قام الشاعر نفسه بتشبيهها بهذا الإسم بمجرد أول لقاء جمع بينهما ، يقول و هويحاورها :" أتدرين لمن تشبهين ؟ قالت متحفظة ، كأنها خشيت أن تتمادى في الانسجام مع هذا الغريب ، غريب الأمر . للخيزران ".[2]

وقبل لقاء الشاعر بهذه الفتاة ، فقد ورد على لسانه اسم الخيزران " ما دور الخيزران في توجيهه هذا التوجيه ؟ أحقا هي الشمعة التي أنارت دهاليز في أعماقه ؟ " [3]. وأثناء المناقشة بينهم يسألها إذا كانت تعرف شخصية هارون الرشيد ، فأجابته بأنَها تعرفه كما تعرف الشاعر أبا نواس [4] ، وبعدها تقترح على الشاعر أن يكون هو هارون الرشيد وهكذا ينتقل بنا الكاتب إلى أعماق التاريخ فيتحول الشاعر و الأستاذ الجامعي إلى هارون الرشيد وتتحول الفتاة إلى الخيزران. تقول الخيزران " فدراستي توقفت في السنة التاسعة المتوسطة ، عبثا حاولت بواسطة التعليم المعمَم اتمامها ، لكن تصميمي على أن أتوقف عنها وأجد عملا ما منعاني من

---

[1]– عبد الله الغذامي : الحظيئة و التكفير ، ص 257.

[2]– الشمعة و الدهاليز ، ص 27 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 28 .

[4] – ينظر : المصدر نفسه ، ص 29 .

مواصلتها ، حصلت على شهادة في التدريب على معالجة النصوص بالكمبيوتر ، ولا أشتغل ، أخت لثلاثة ذكور و لخمس بنات أنا أصغرهنَ ..."[1] ، كما يقدم لنا الخيزران من الناحية التاريخية " ...الخيزران هي فتاة بربرية سبيت من شمال افريقيا ، وأخذت إلى القصر العباسي لتنجب هارون الرشيد ..." [2]. وقد مزج الكاتب في الشخصية الروائية بين الحاضر و الماضي وتمَ التوظيف في النص الروائي حسب ما تقتضيه المواقع السردية .وعندما تعود الخيزران إلى البيت تقص على والدتها حكاية لقائها مع الشاعر هارون الرشيد و تعكس الأحداث بأنَ الشاعر تأثَر بها .

10- الجازية :يعد استلهام الروائيين العرب للأسطورة إنجازا نوعيا للخطاب الروائي العربي، فقد رأى الروائيون ضرورة توظيف الأسطورة في كتباتهم . وهذا إن دلَ على شيء إنَما يدل على أنَ الأسطورة لم تتلاش في مجتمع من المجتمعات لأنَها تشكَل جزءا منها ، من بنائه القومي الروحي . ومن النماذج في توظيف الأسطورة في أعمالهم الروائية "الجازية و الدراويش " للروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة ، وهي عبارة عن عمل فنَي جريء يجمع بين سمات الرواية السياسية المعاصرة و الأسطورة الشعبية القديمة ، بين الواقع و الأسطورة ، والجازية اسم لإبنة المجاهد بطل حرب التحرير الذي قتل .وهو اسم مستوحى من الأساطير الملحمية عن جازية بني هلال ، ففي الرواية نلمس جوا أسطوريا خرافيا ، تمثَل في القرية و الفتاة الساحرة التي ما رأت عين جمال كجمالها ، ولا سمعت أذن كلاما أحلى من كلامها .

وقد استطاعت الرواية الجزائرية أحلام مستغانمي أن تستلهم من التراث الأسطوري ما يخدم نصَها "فوضى الحواس " ، فاستدعت أسطورة "سندريلا " ((لولا أنَني تنبهت إلى مرور الوقت

[1] – المصدرالسابق ، ص 31 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 32 .

واقتراب نهاية الفليم ، الذي سيفاجئني الضوء بعده ، ويحرق شريط حلمي ، ويحولني كما في قصة سندريلا من سيدة المستحيل إلى امرأة عادية ، تجلس في قاعة بائسة ، جوار رجل لا يستحق كل هذه الأحاسيس الجميلة التي خلقها داخلي))[1] .تحيلنا الروائية من خلال هذا المقتطف السردي ، إلى أسطورة سندريلا و الأمير ، وتحول قاعة السنيما مسرحا لهذه الذاكرة التي تغير أحداث السرد، إلى نوع من الخيال الجميل المقترن بهذه الأسطورة . لقد جعلت الروائية عملية الفصل بين الأسطورة و الرواية أمرا صعبا ، حيث تتقمص شخصياتها أدوار أبطال الأسطورة ، فتحاورها مستلهمة منها الأحداث الرئيسية فقط لتغير بعد ذلك كل المعطيات الأخرى حتى تبين أفق انتظار القارىء ((الجنون بداية الحلم ، وحلمي الليلة أن أسكن جسد تلك المرأة التي ذهبت عنها لمشاهدة الفيلم)) [2] .

[1]– أحلام مستغانمي : فوضى الحواس ، ص 57 .

[2]– المصدرنفسه ، ص 61 .

المبحث الثاني : شخصيات ثقافية(فكرية و أدبية)

هيمنت الشخصيات الثقافية في المتن الحكائي لرواية " الشمعة و الدهاليز " فرغم أنَها لم تشارك في الأحداث، شأنها في ذلك شأن الشخصيات التاريخية السياسية كونها لم تتمتع بحق الفعل و الكلمة إلا من خلال ما تقوله الشخصيات الأخرى، إلا أن حضورها كان قويا. فقد ورد أغلبها على لسان الشاعر و في كثير من الأحيان ذكر بعض أقوالها أو أشار إلى أفكارها و إن لم تكن لهذه الشخصيات دور مباشر في سيرورة عناصر القص، لكن الكاتب جعل الرغبة في ذكرها هدفا أساسيا في عملية القص ، فيذكر مثلا :

1-محمد العيد آل خليفة : وردت هذه الشخصية الفكرية في رواية "الشمعة و الدهاليز" على لسان الشاعر في قوله " فهذا محمد آل خليفة الشاعر الفحل الذي يعجب الطلبة و الأساتذة به . فيقول : يابنات الجزائر كنَ للإستعمار ضرائر "[1] ، ليبين نضال الشاعر محمد آل خليفة.وفي قوله " وعبثا يحاول أن يعثر على الشعر المشرقي المعاصر حافظ ابراهيم ومعروف الرصافي ، وبعض شعراء المهجر الذين أحب نثرهم و حفظه عن ظهر قلب "[2] ويذكر في قوله " رآها في مخيلته في قصيدة ما ، أو في عبارة ما لعلَها لامرىء القيس أو كعب بن زهير ، أو للمتنبي أو لأبي فراس الحمداني تعرَف عليها في دهاليز ألف ليلة و ليلة ، أو كليلة و دمنة أو احدى مقامات الحريري " [3] دلالة على وصف جمال المرأة ، فالشاعر يتحين الفرص لإيرادها سواء كانت ثقافية عربية إسلامية أو غير عربية فهو في كل لقاء مع الشخصيات الأخرى يدرج ضمن حديثه إشارة إليها و كثيرا ما يعمد إلى ذكرها مجموعة دفعة

[1] – الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليز ، ص 105 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 105 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 102 .

واحدة.وفي هذا السياق ذهب سارتر إلا أن المثقف "هو ذلك الإنسان الذي يدرك و يعي التعارض القائم فيه ، وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية و بين الإيديولوجية السائدة و ماهذا الوعي سوى كشف للنقاب عن تناقضات المجتمع الجوهرية "[1].

بالإضافة إلى ذلك اعتمد الكاتب على وسيلة فنَية، تجعل الشاعر في وضعية تسمح له بأن يتحرر من قيود أحداث الرواية و بالتالي يقول ما يفكر فيه دون أن يحدد المناسبة التي تفرضها عادة أحداث الرواية، فجعل الشاعر يقوم برقصة خاصة تجعله يخترق الزمن، فهو يعود إلى الماضي كما يمكن له أن يتحدث عن الحاضر و المستقبل في آن واحد .تتيح فرصة التعرف على ابداع التراث ،ومدى الوظيفة التي حققها ،فضلا عن أن كل قراءة تكشف عن رؤية ابداعية جديدة .[2] فلا يمكن أن يسير الحاضر منفصلا عن تلك الأيام التاريخ لذا لا بد من رؤية الحاضر بمنظور تاريخي .

هذه الرقصة شكلت فضاءا هاما في بناء الرواية، يكرَرها كلما تأزمت الحالة و هي في الأصل رقصة قام بها أول أيام كان في الثانوية الفرنسية الإسلامية بقسنطينة. و جرت العادة أن تقدم نشاطات في احتفالات أخر السنة و كلَها مستمدة من الثقافة الفرنسية غناء و مسرحا و قد اختير لآداء دور العجوز المرابي في المسرحية لراسين [3] ،غير أنَه رفض و قرر أن يقدم عرضا خاصا به فكانت الرقصة الفلكلورية الشعبية الشاوية بلباس تقليدي، و خاصة البرنوس ،هذه الوسيلة اضافة إليها حالات الحلم و المرض و الحديث النفسي للشاعر، فرصا لذكر الشخصيات الثقافية غير عربية مثل:

---

[1]–مجلة فكرية ،العدد2 ، دار الهدى ،عين مليلة ، 2004 ، ص110.

[2]– ينظر :د.سعد الله محمد غانم ، أطياف النص (دراسات في النقد الإسلامي المعاصر) ، ص15.

[3]– الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز ، ، ص 65.

"سان أوغيستان"[1] ،"لا مارتين راسين، مونتسيكو، رامبو، فيكتور هيجو "[2]، "فلا ديميرلنين كارل ماركس" [3]،"بابلوبنوودا ،روبس بيار"[4]، "تروتسكي"[5]، "تلولستوي هيمنغواي بلزاك"[6]،"غليلي"[7] "أفلاطون سقراط، هيجل، فيخت"[8].

و قد يضاف إلى هذه القائمة ما ورد في الشخصيات السياسية، فالبعض منها كان لها اكثر من مرجعية، مثل علي بن أبي طالب (سياسي و إمام ورجل حكمة) تعمدت الدراسة ادماجها لأنَ النص الروائي أوردها بالمفهوم الشامل الذي لايفرق بين ما هو ديني، و بين ما هو ثقافي، فكل نشاط يعمل فيه العقل هو ثقافي، أشار في هذه الصدد إلى الآية الكريمة :

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{5} " [9] .

و قال ايضا: " و لا يخاف العبد الله حتى يعرف الله على حقيقة ما أبدع "[10].

المثالان يوضحان أهمية العقل سواء تعلق الأمر بالعقيدة او بالأمور الحياتية. إنَ أهمية هذه الشخصية على مستوى الدلالة كونها علامة تكمن في أنَ الشخصية المحورية في الرواية، هي شخصية الشاعر، و قدمت على خشبة النص على أنَها مثقفة واسعة الإطلاع و ذلك دلالة على

---

[1]– المصدر السابق ، ص 68 .

[2]– المصدر نفسه : ص 102

[3]– المصدر نفسه : ص 141 .

[4]– المصدر نفسه : ص 158

[5]– المصدر نفسه :ص 159

[6]– المصدرنفسه : 185

[7]–المصدرنفسه ، ص 185.

[8]– المصدر نفسه : 191.

[9]– سورة العلق ، الآيات (1–2–3–4–5) .

[10]– الشمعة و الدهاليز ، ص147 .

أهمية الثقافية في المجتمع .و قد أشار أنَ الذين ينادون بإقامة الدولة الإسلامية بالتركيزعلى أنَ الدين عبادة و أنَه يجيز فعل شيء أو منعه، و أهملوا التراث الثقافي الفكري الذي تزخر به الثقافة العربية الإسلامية في مختلف الميادين ،ورد في هذا المجال على لسان الشاعر، و هو يحدث نفسه، بعد معرفته لزهيرة التي أحدثت إنقلابا في حالته النفسية ،جعلته يغوص في أمور مختلفة تهم الإنسانية و الفرد الوطن، وضاع العقل، فأشار إلى محاولة اغتيال العقل،حيث قال: " يموت الجاحظ، يموت واصل بن عطاء، يموت بن رشد، يتربع أحمد بن حنبل من جديد على العرش لايقول شيئا سوى الله أراد ذلك وأن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يفعل ذلك"[1].

يلاحظ في هذا النص تكرار فعل الموت ، فموت هؤلاء من جديد يعني اغتيال العقل . كما أنَ توظيف التراث في الرواية الجزائرية " لم يبق محصورا في النص القرآني سواء أكان هذا التوظيف يستعمل الآيات كاملة أم ناقصة أم كان يستعملها بتصرف يمليه السياق اللغوي ، ولو أنَ القرآن مازال المرجع الأساسي في البلدان العربية و الإسلامية " [2] .

كما أنَ إيراد هذه الشخصيات في النص الروائي علامة على تشبع المؤلف من الثقافة العربية من جهة و اطلاعه على الثقافة الأجنبية المختلفة من جهة أخرى، في قوله "...وحتى إذا ما اظطررت إلى أن أستمع إلى الموسيقى الغربية ، فإنني أفضل موسيقى الويسترن ، مايكل جاكسون ، ومادونة و ماشابه "[3] ، و قوله " عيسى الجرموني ، وخليفي أحمد ، و الريميتي الغيليوانية ، و الشيخ العفريت ، الشيخة طيطمة و الحاج مريزق ..." [4] . و هذا لا يعني أنَ ايراد أسماء ثقافية في عمل فني بالضرورة يعني معرفة المؤلف بالإنتاج الفكرى لهذه

---

[1]– الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليز ، ص 141.

[2] – مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 121 .

[3]– الطاهر وطار ، الشمعة و الدهاليز ، ص 186 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 185 .

الشخصيات، و إنَما الأمر هنا يتعلق بالتوظيف الواعي لهذه الشخصية في النص " وممَا يلاحظ على الكتابة الروائية أنَها تميزت دوما بتصوير حالة المثقف الذي لم يرحمه النظام الحاكم "[1] .

فالشخصيات الثقافية وردت في مواقف مناسبة، ملائمة للحالة النفسية للشاعر، و أحيانا تخدم الجانب الفكري الذي يكون فيه، سواء من خلال الحديث الباطني، أو من خلال مناقشة محاوريه في قضية من القضايا الفكرية .مثلا : ورد السهرودي، الخيام، و العدوية و الحلاح، وابن عربي ... ، إنَ الماضي التاريخي هو عامل ذهني ، يستنبط في كل لحظة من الآثار القائمة ، أو بعبارة أخرى موضوع التاريخ هو الماضي الذي هو الحاضر "[2] .

و الشاعر في حالة نفسية مظطربة، بما أحدثته " زهيرة " في نفسه من تغيير يكاد يكون جذريا بين حالة الوقار كونه مدرس علم اجتماع وباحث في أمور فكرية مختلفة، وبين حالة التفكير في الفتاة و الحب و انفعالاته جعلته يناجي ربَه، فأورد هذه الأسماء إشارة إلى الاتجاه العقائدي في التراث العربي الإسلامي، يقول الشاعر: " هذا كلام جديد توحيه الحالة التي أنا عليها وهو أشبه بخواطر عربية، يوحيه تأثير مخدرما، فهل أنا سكرت ؟ "[3] .

ثم يقول: " يا إلهي لئن كنت لا أراك كما يراك العوام، و لئن كنت كما يراك ابن عربي والسهروردي، و الخيام و العدوية و الحلاج، نور السماوات و الأرض مثل نورك فإنَني يا إلهي أعجز عن فهم بعض مشيئتك، فألهمني إلى فهم هذا الحصار الذي تضربه على عينان سودوان حتى صارتا النور الذي يعمَ كياني " [4] ،إشارة إلى المتصوفة الأوائل .

---

[1] – المصدرالسابق ، ص 29 .

[2] – محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 126 .

[3] –– الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليز ، ص 138.

[4]– المصدرنفسه ، 138 .

أورد أقوال لأسماء ثقافية عربية و غير عربية، حول فكرة تغيير الوضع، فقال الشاعر و هو في حالة استغراب، حيث تذكر زيارته الأخيرة إلى بلغاريا حيث شهد ضعف الإنسان أمام المال، إنَه مستعد أن يبيع أي مبدأ أو قيَم أو مثل مقابل دولارواحد، مستشهدا بقول (روبيس بيار) " إنَ الشرف الذي يقيد حركة البرجوازية شبيه بعذرية المرأة ما إن يفتض حتى تنساه "[1] ،وفي المعنى نفسه استشهد بقول حمدان قرمط : " لكي يزول ظلم الناس للناس على الله أن يخلق أناسا آخرون أما هؤلاء فقد حقَت عليهم اللعنة "[2] ، و كذلك قول فلاد يمير لنين : " إنَ الشكل بدون محتوى لا أهمية له كذلك الأمر المحتوى بدون شكل " [3]، ثم قول تروتسكي : " لا يمكن فهم سرَ الكون إلا في وحدته و لا يمكن تغيير نواميسه إلا في وحدتها "[4]، ثم ختم ذلك بالمثال الشعبي الجزائري. " قص الرأى تنشف العروق "[5].

2-عبد الرحيم فقراء: في رواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء "،أدرج الكاتب شخصيات حقيقية سواء من التاريخ الماضي أو الحاضر ،و كل هذا من أجل أن يدل على وضعية العالم العربي الراهنة هذا العالم الذي أصبح تحت رحمة الأيدي القوية.

عبد الرحيم فقراء هو اسم مراسل لمحطة وظيفية، تكمن أهميته في أنَ الكاتب يسعى دائما إلى توظيف و ادراج الإنسان العربي المثقف الذي من خلاله يكشف عن رسالته الموجَهة إلى

---

[1]- المصدرالسلبق ، ص 157 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 158 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 185 .

[4] - المصدر نفسه ، ص 159 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 159 .

القارئ ، ممَا يؤكد" أنَ المجتمع و الثقافة و الشخصية ، ظاهرة انسانية، وحدة متكاملة و هذا التكامل في حقيقة الأمر انَما يعني استمرار الإنسان "[1] .

فإنَ إسم" فقراء" يدل على فقر، و هو يقصد المثقف العربي الذي يخضع إلى الفقر من كل الجوانب. قد نقل الحدث من مكانه و قرَبه إلى المتلقى و ذلك من أجل أن يفهم الإنسان العربي حقيقة واقعة هذا من جهة، و من جهة أخرى كان لاستدعائه هذا الإسم من دون أن تظهر لنا شخصيته بشكل مباشر .

بالإضافة إلى هذا نجد الكاتب قد رجع إلى التراث التاريخي العربي و حاول استدعاء بعض الشخوص الحقيقية، مثل "مالك بن نويرة" هذا الشاعر الذي قتله "خالد بن الوليد" دليل على أنَ الكاتب يريد الإشارة إلى أنَ ما نحن فيه اليوم من تناقصات ليست ولدة اليوم، و إنَما هذه الإختلافات هي ضاربة في جذور التاريخ .

إذا تتبعنا مصير الكتابات الإبداعية عند الطاهر وطار سنجد أنَ كتاباته متسلسلة ومتكاملة فيما بينها ،حيث نجد الشاعر البطل يعيش حالة صوفية مع زهيرة في رواية "الشمعة والدهاليز" هذه المرأة التي ستصاب بصرعة و ستشاهد قتل الشاعر، إنَها تراه حتى عند قتله تجلى لها.

و في "الولي الطاهر يعود إلى مقاومة الزكي" نجد هذا الولي صوفيا يعيش حالات تتجسد في حالة واحدة من خلالها يرى نفسه مجاهدا و محاربا و جنيرالا و أميرا و قاتلا، و بالمثل في الرواية الأخيرة نجد الولي هو هو، إلا أنَه ليس مناظلا. يعيش حالات صوفية، تتفتح أمامه

[1]– محمد حسن غامري : المدخل الثقافي في دراسة الشخصية ، المكتب الجامعي الحديث اسكندرية ، 1989 ، ص34 .

شاشة يبصر من خلال تلك الظاهرة السوداوية التي غطَت العالم العربي ،فهو يرى العالم في لحظة واحدة، يرى العالم كلَه و ما أصبح عليه من سلام.

و إلى جانب هذا نجد أيضا حضور شخصية الإنسان العربي المثقف، ففي الجزء الأول نجد بطل الرواية هو الشاعر و في غالب الأمر الشاعر يوسف السبتي ،فالكاتب يقر بأنَ ثمانين بالمائة مما كتبه ينطبق عليه والمثقف العربي الذي يرمي الكاتب من وراء إدراجه في كتاباته الإبداعية، يوظفه للدلالة على الحالة الغير مرضية التي يعيشها ففي" الشمعة والدهاليز"، يتمَ قتل الشاعر الفيلسوف من طرف قوى غامضة ،و هذا ما نجده في إحدى محاولات الولي الطاهر الذي كاد أن يقتل الروائي " نجيب محفوظ" الذي يعد رمزا من رموز النخبة المثقفة .

كما نجده يدرج في روايته الأخيرة شخصية و هي" عبد الرحيم فقراء" فهو اسم له وزنه،والكاتب لم يوظف هذا الاسم اعتباطا ،و إنَما وظَفه فنَيا للدلالة على وضعية المثقف العربي ،و لمَا كان النص الروائي التاريخي أو المستوحى على الأقل من التاريخ وجه من وجوه الواقع على حد تعبير لوكاتش ، فإن التاريخ يصبح في هذا السياق رصدا لما كان (الماضي) و لما هو كائن(الحاضر) و لما يجب أن يكون(المستقبل). [1]

التاريخ أو الواقع يسمح إذن بالكشف عن الذات الساردة من جهة، والعالم المسرود عنه وله من جهة ثانية ، ورواية الطاهر وطار" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" هي جزء من ثلاثية متكاملة مساءلة للتاريخ الواقع بعد أن غطته أسحاب من الخسوف والكسوف المفاجئة، فلم يعد

[1]– .ينظر : جورج لوكاتش : الرواية التاريخية ،ص 147

الولي[1] أمامه سوى السؤال تلوى السؤال عن دلالة هذا النظام المطبق على العالم العربي من المحيط إلى الخليج ومن الخليط إلى المحيط، مستنجدا بتاريخه الشخصي أحيانا، والسلالي[2] أحيانا، يهدف تفسير هذه الظاهرة وتداعياتها المختلفة على الإنسان والزمان والمكان.

أما أحلام في "فوضى الحواس" تكتب تاريخ قسنطينة ، قسنطينة الجسور المعلقة قسنطينة الأسطورة الحالمة بماضيها وحاضرها.

وما الجسر إلا امتداد بين الماضي والحاضر، الماضي الذي حين تستدعيه تخافه أحيانا، فهي في رواية "فوضى الحواس" تستدعي الماضي بصوره العنيفة وتحاكيه بقولها: "وكأنهم يخافون الجسور، أو كأنهم يخافون ليل قسنطينة تلك القصيدة لوولت ويتمان: "على جسر بروكلين:

المد الصاعد.

المد الصاعد.

المد الصاعد.

ما أغربكم في عيني".[3]

إن استدعاء الجسر جعل من الذاكرة تستدعي قصيدة" وولت ويتمان"، لتثير المتلقي وتفتح دلالة الجسر في مخيلة البطل من دلالة التواصل بين الماضي والحاضر، إلى دلالات عدة قد تعني الخوف من المجهول .

كما تذكر نص شعري: "أنا لا أملك شيئا يا سيدتي مما تعودتيه في نمط حياتك، ثروتي في بيت للإمام الشافعي.

غني بلا مال عن الناس كلهم.

---

[1]– ينظر : الطاهر وطار ،الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، ص 155.

[2]– المصدر نفسه ، ص158.

[3] – أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ص 107.

وليس الغنى عن الشيء إلا به"[1].

فحياة البطلة مع العميد في حياة ترف ولهو، غير أنَها حين قررت الخلاص من سلطة هذا الزوج، واتجهت بكل كيانها للبطل، استدعت بهذه الأبيات صورة ثنائية، تبرز الفرق الواضح بين ما يملكه البطل وما يملكه الزوج،والفرق جلي بين الغنى والفقر،لكن يؤكَد بأنَه لا غنى عن الغنى من خلال استحضارهذه الأبيات .

فهي تتخلل الحشود الحاقدة ذات الملامح العدوانية ، تلبس العباءة و الشال مظاهر خداع ليس إلا ،فحياة التي كانت تقترن بضابط برتبة عميد في زواج ثان له كانت عاقرا لا تنجب ، و بما أن حياة هي رمز للجزائر ،نفهم رؤية الكاتبة أحلام مستغانمي لمستقبل الجزائر من خلال تمجيد الكاتبة للرئيس الجزائري الشهيد (محمد بوضياف) الذي كان كأبيها بطل من أبطال الحرب التحرير الجزائرية و الذي سجن و نفي إلى المغرب ثمانية و عشرين عاما بعد الاستقلال. فدعاه العسكريون من منفاه ليتسلم السلطة فجاء محمد بوضياف و في ذهنه ما في ذهن الكاتبة و وما في ذهن حبيبها المصور الصحفي ،جاء ليحاسب السلطة الفاسدة في الجزائر و يحد من طغيانها، فدفع حياته ثمنا .

و قد شدَدت على الطرف الآخر الذي يمارس القتل في الساحة الجزائرية و الذي يتغنَى بالديمقراطية لا احتراما لها بل من أجل السلطة .

3- مالك حداد :أهدت أحلام مستغانمي روايتها "ذاكرة الجسد " إلى مالك حداد : "إلى مالك حداد : ابن قسنطينة الذي أقسم بعد استقلال الجزائر ألا يكتب بلغة ليست بلغته ، فاغتالته الصفحة البيضاء ، ومات متأثرا بسلطان صمته ، ليصبح شهيد اللغة العربية . وأول كاتب قرَر

[1]- المصدر السابق ، ص 321.

أن يموت صمتا و قهرا و عشقا لها . وإلى أبي : عساه يجد (هناك) من يتقن العربيَة فيقرأ له أخيرا هذا الكتاب ..كتابه "[1] .

فثمة قصة سياسية تكتب تتضح لنا في هذه الرواية، فعلى صعيد الكتابة نحن أمام عاشقة من لحم و دم ، تكاد تكون هي الجزائر ذاتها ،تتزوج برجل يمثل السلطة الغاشمة و الفاسدة ويخالف الذي اتخذ من القتل و التدمير دينا و مسلكا..

أما على صعيد الواقع و التاريخ نحن أمام رجل في الثانية و السبعين هو "محمد بوضياف" أحبَ الجزائر بإخلاص ليجد نفسه نزيل سجن الجزائر بعد الاستقلال ثم ليجد نفسه ملاحقا و مطرودا و منفيا إلى بلد مجاور ثم جاء النداء ، فأبى إلى بستجيب لأنَه رأى في نفسه المخلص و المنقذ و جاء للإصلاح ، لكنَه اكتشف أنَه جاء ليكون واجهة فقط ،تغطي على النهب و السلب و الاستبداد و التخريب، فراح محاسبة الفاعلين فقتلوه على عجل. و قد أصدرت الكاتبة روايتها "فوض الحواس" بهذه الكلمات الدالة: (إلى محمد بوضياف ... مرة أخرى).

تناجي الكاتبة الوطن فتقول:

" وطن أي وطن الذي كنَا نحلم أن نموت من أجله، و إذا بنا نموت على يده أي وطن هو...هذا الذي كلَما انحنينا لنبوس ترابه ،باغتنا سكين، و ذبحنا كالنعاج بين أقدامه ؟ " [2].

إنَ موت "بوضياف" لم يكن الموت الوحيد في" فوضى الحواس"، فقد عرفنا أنَ والد الساردة مات شهيدا في قتاله ضد فرنسا من أجل الحرية و الإستقلال، كما مات سائقها و هو جندي

[1] – عبد الرحمن ياغي : في النقد التطبيقي مع روايات من العالم العربي ، منشورات أمانة عمان الكبرى عمان ، ط1 (1422هـ–2001 م) ، ص 151 .

[2]– أحلام مستغانمي : فوضى الحواس ، ص 368.

متقاعد و كثير من الصحافيين الذين ينتقدون القتل الأعمى و كان من بينهم (عبد الحق) الذي أحبته الكاتبة .

كما استدعت الكاتبة شخصية " ميشيما " الياباني الذي انتحر استنكارا لهزيمة اليابان على يد أمريكا ، وانتحار خليل حاوي الشاعر اللبناني لحصار بيروت من قبل إسرائيل عام 1982 ،لأنه لا يريد أن يقاسم الاسرائليين هواء وطنه ، "إنَ الشخصية كنلة من العناصر المرجعية التي تنظم كدوال في سياق النص "[1] .

الكاتبة تعد عملا و فعلا عن واقع بائس ، حيث تصور أحلام مستغانمي ذاتها بقولها : " إنَها تشبه أولئك الرائعين الذين يأخذون كل شيء عكس مأخذه فيتصرفون هم و أبطالهم بطريقة تصدم منطقيا في التعامل مع الموت و الحب و الخيانة والنجاح و الفشل و الفجائع و المكاسب و المنارة ...لذا أحبت زوربا الذي يرقص عندما كان عليه أن يبكي و أحبت ذلك البطل في الرواية (الغريب) لألبيركامو الذي حكم عليه القاضي بالإعدام لأنَه لم يستطع أن يبررَ عدم بكائه عند دفن أمَه ،بل إنَه في يوم مأتمها ذهب ليشاهد فيلما و يمارس الحب رفقة صديقة له "[2] . فقد فعلت الكاتبة فعل هؤلاء، فهي في الوقت الذي يصلح للصمت ، تجرأ بالكتابة و تنشيء الروايات التي تقوم أبطالها بأفعال هادفة، فالذات الروائية تعلن حبَها بقوَة و تذهب إلى شقة حبيبها في العاصمة الجزائر، في زمن الموت بوطن بائس يعمَ به الخراب تعلن خيانتها لزوجها الرامز لهم ، و تنحاز إلى النقاء و الطهر لخالد فهي تنبذ الحاضر الملطخ المشوه لصالح الماضي النقي الطاهر." الحبَ بكل مايحمل من معان إنسانية نبيلة ، لكنَه في مناطق محرمة ، إذ البطل الكاتب يعاني من حصار شديد فرضته ظروف العنف الدموي في

---

[1]– عمر وعلان : الإيديولوجية و بئية الخطاب (دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة) ، ص204 .

[2]– أحلام مستغانمي : فوضى الحواس ، ص 359.

التسعينات فلا يجد من ملجأ سوى الكتابة في الخفاء ، ولكنَه لايتوقف عن الكتابة ، كما لايكف عن الحبَ ولو كانت المناطق محرَمة " [1].

و هذا ما يدل على الأهمية التي صار يحظى بها جنس الرواية لدى الكتابات الجزائرية اللاتي رأينه الشكل التعبيري القادر على استيعاب هموم المرأة و إشكاليات الجزائر المستقبل خاصة في العقد الأخير من القرن العشرين زمن المحنة [2].

كما استدعت رقصة زوروبا و كبرياء رجولته التي يتحدى بها قسوة الحياة تقول : وقف مراد و السيجارة في طرف فمه و هو يرقص كأنَه يراقص نفسه على موسيقى الزاندالي رقصة لا تخلو من رصانة الرجولة و إغرائها يتحرك نصفه الأعلى بكتفين يهتزان كأنَها مع كل حركة يضبطان ايقاح التحدَي الذي يسكنه بينما يتماوج يمنه و يسره ببطء يفضح مزاج شهواته والإيقاع السري لجسده [3].فهذه الرقصة تحيلنا الى إلى رقصة " زوربا " التي رقص فيها مصائبه ،زواجه مرات عديدة،المهن التي تعلمها، دخوله السجن و هروبه منه إلى روسيا و وفاة ابنه الصغير و الوحيد "ديمتراكلي" في ساليمدس ، فالرقص عند زوربا هو الطريقة الوحيدة التي تتفاهم بواسطتها الألهة و الشياطين [4] .

---

[1]– مخلوف عامر : توظيف الرواية الجزائرية ، ص 225 .

[2]– ينظر : د.بوشوشة بن جمعة ، دراسات و ابداعات وزارة الثقافة ، دار الأهل للطباعة ، الجزائر ، ص 58.

[3] – ينظر : أحلام مستغانمي : عابر سرير ، موفم للنشر الجزائر ، ط3 ،2004 ، ص 129.

[4]– ينظر : أحلام مستغانمي : ذاكرة الجسد ، دار الاداب ، بيروت ، 1999 ، ص 121.

و لفرط اعجاب أحلام بشخصية زوربا بحزنها و ممارستها للحب رقصا، لهذا هي تعسة " ألسنا في عام (فوض الحواس) حيث " زوربا " و حيث الحزن و الحب معا و حيث الصمت و الكتابة و حيث الفن و الحياة و الواقع في توليفة فنية جميلة" [1] .

فالروائي في نظر أحلام مستغانمي" لا يروي فقط ،لا يستطيع أن يروي فقط، إنَه يزور فقط ... و لذا كان كل روائي يشبه أكاذيبه تماما كما يشبه كل امرئ بيته، وصلت إلى هذه الفكرة و أنا أتذكر ما قرأته عن الكاتب الأجنتيني" بوخريس" الذي أصبح أعمى تدريجيا، و الذي كان عندما يصل إلى مكان يطلب من مرافقه، أن يصف له لون الأريكة و شكل الطاولة فقط، أما الباقي فكان بالنسبة إليه " مجرد أدب " أي بإمكانه أن يؤثثه في عتمته كيفما شاء " [2].

يختار الكاتب الشخصية لتكون مدار اهتمام القارئ في تتبعه للحوادث لأنَها تظل حيَة في ذاكرته بعد قراءة الرواية، و هو يبتكرها من خياله (لأنَها تظل حيَة) الواسع ،و بما أنَ الكاتب" فنَان خلاق، فإنَه يفهم الشخصية فهما عميقا و باستطاعته أن يرسم الشخصية الفنَية بتركيزه على إمكانات الشخصية الإنسانية و طاقاتها " [3] .

لقد استطاعت الكاتبة أحلام من خلال ثلاثيتها أن تكتب عن ماض الجزائر و حاضرها ،عن الوطن الذي طرَزته دماء الشهداء ،حيث جاء التوظيف للشخصيات ملتحما بنسيج الرواية و وجزء من تكوين الشخصية الروائية الاجتماعية و التاريخي و السياسي، تعبَر من خلاله عن رؤاها و وجهات نظرها، فلكي تقول لنا أنَ الحب أكبر متعة في الوجود ، راحت تتذكر قراءتها و كيف يمكن(لينتشه) "فيلسوف القوة و الرجل الذي نظر طويلا للجبروت و التفوق أن يكون صريع قبلة واحدة سرقها مصادفة في زيارة سياحية إلى معبد ،صحبة " Lou " المرأة التي

---

[1]– أحلام مستغانمي : عابر سرير ، ص 92.

[2]– أحلام مستغانمي : فوض الحواس ، ص 95.

[3]– د. محنه حاج معتوق : ، أثر الرواية الواقعية العربية ، ص50 .

أحبَها أكثر من كاتب و شاعر في عصرها، كان أحدهم " أبولينير " الذي تغزَل فيها طويلا أمام هذا الجسر نفسه، وجد في اسمها المطابق بالفرنسية تماما لسم الذئب " loup " دليلا قاطعا على قدره معها ؟ " [1]، و لتأكيد قيمة الحب في الحياة راحت تتمنَى لو كان لها قدرة "ما رسيل بروست في رائعته (البحث عن الزمن الضائع) على كتابة عشرين صفحة في وصف قبلة واحدة لا أكثر " [2] .

فكثيرا ماعمد الروائيون إلى سرد أقوال الشخصيات الأدبية ، ولا سيما تلك الأقوال الشهيرة التي تحتل حيَزا كبيرا عند القراء وهذا يظهر في ثلاثية أحلام مستغانمي التي جاءت مليئة بالشخصيات الأدبية و الفكرية الغربية الموظفة ببراعة منها قول أندري جيد (الكاتب الفرنسي) :" من السهل أن تعرف كيف تتحرر و لكن من الصعب أن تكون حرا "[3]، لتؤكد صعوبة تحررها من الرجل تقول :" رغم أنَني لا أتوقع أن يكون أمر سهلا و لكن الأصعب كيف ستكون حريتي بعده، فحياة امرأة مطلقة في بلد كهذا، هي عبودية أكبر، إنَها تتحرر من رجل كي يصبح كل الناس أوصياء عليها " [4] . و الملاحظ أنَ ثمة طريقتين لسرد أقوال الشخصيات التاريخية ، فإما أن ترد في السرد كمل هي في الأصل التاريخي ، وهنا يستخدم الكاتب التنصيص ، فيضع كلام الشخصية التاريخية بين قوسين ، وإما أن ترد أقوالها متداخلة مع السرد الروائي ، عن طريق الروائي .

كما تشبه الكاتبة بطل روايتها بشخصية هنري ميشو الذي ظل يعيش في الظل، موجود ويتوارى عن الظهور، كهنري ميشو الذي رحل و ترك الأسئلة وراءه، في قولها :" ما الذي

---

[1]– أحلام مستغانمي : فوض الحواس، ص 185.

[2]– المصدر نفسه ، ص 191.

[3] – المصدر نفسه ، ص219 ..

[4]– المصدرنفسه ، ص 220.

أوصل هذا الرجل إلى هنري ميشو؟ و لم أجد من جواب سوى أنَه كان رسَاما أيضا ؟ حتى أنَه كان شاعرا ... الأسئلة التي لا تفيض سوى إلى أسئلة أخرى،وكل حياته كانت مبنية على الإنتهاكات الدائمة لوجاهة فوتوغرافية، و يرفض أن تصدر كتبه في طبقات شعبية بل ظل يتمنى لو أصدر من كل كتاب له خمس نسخ فقط و لم يفارقه طوال حياته ، احساس دائم بالعبثية " [1] .

لقد استدعت الرواية أكثر من شخصية سواء كانت عربية أو غير عربية عظيمة تاريخية وفلسفية كا : بودلير ، هنري ميشو ، رولان بارث ، اندريه جيد ، بوخريص شانيل ، كليو باترا نابليون جوزيفين ...و عربية مثل : محمود درويش ، جميلة بوحيرد ، جبرا خليل جبرا الخنساء، الشافعي ... " فبمجرد ما نطرح اسما تاريخيا ضمن سياق النص المعاصر ، فإنَنا نقوم بعملية استحضار الإطار الفضائي لقصة هذا الإسم في كل ايحاءاتها ، لأنَ الإسم التاريخي مرتبط دائما بحقبة زمنية معينة لا كإطار ، ويشتمل على سلسلة من المعارف التي تحتاج إلى معرفة سابقة تفسر سلوك هذا الشخص التاريخي "[2] .

وإذا حاولنا استجلاء أسباب العودة إلى التاريخ إنَنا لابد من أن نستحضر السياق الثقافي التي كانت تعيشه المنطقة العربية في زمن كتابة الرواية َ، فالبيئة الثقافية في الجزائر عانت من تعقيدات متعددة ، الأمر الذي جعل "الحركة الأدبية تعاصر ظروفا صعبة جدا و قاسية أعاقت انطلاقتها و حجمت قدراتها على الخلق و الإبداع و العطاء " [3] ، و لإستجلاء العبرة و العظة

---

[1]– المصدر السابق ، ص 221

[2] – سعييد بن كراد : سميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع و العاصفة)، دارمجدلاوي الأردن، 2003 ، ص 110 .

[3] –واسيني الأعرج : إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986 ص 50.

مما حدث في تلك الفترة ،ووضع ذلك حاضرا أمام القارىء يسهم في استيضاحه ، ومن ثم الحكم عليه .

لذلك نستطيع عبر هذه الشخصيات، إبراز قدرة الروائية المعرفية على جغرافية الثقافية والفكر. وبعد فليس المهم في العمل الروائي أن تكون الشخصية التاريخية فاعلة أو مرجعية في العمل الروائي ، بل المهم كيف توظف في العمل الروائي وماهي المهام التي يمكن أن توكل إليها .

الخـــــــاتمة

تعدَ الرواية من أهم الفنون الأدبية في العالم العربي ، وقد شهدت تقدَما ملحوظا منذ ظهورها ، وهذا نظرا لشساعة فضائها ، لقد أصبحت قادرة على استيعاب العناصر و الأسس الفنَية التي يبنى عليها العمل الأدبي ، فلم تعد الفنون الأخرى قادرة على ايقاف تقدم هذا الفن أو دفعه إلى الجمود .

فالرواية جنس أدبي متحول يخضع إلى مجموعة من الدوافع و العوامل ، تجعل الأدب ينقل ما يتعرض له مجتمعه إلى كتاباته ، لأنَ الكاتب الروائي لا يكتب لنفسه ، بل يعمل دائما على ايجاد الصلة بينه و بين أفراد مجتمعه .

توجه بعض الروائيين إلى توظيف التراث بهدف تأصيل الرواية العربية من جهة ، وإعادة قراءة التراث من جديد في ضوء المستجدات الراهنة التي فرضت على الذات مراجعة الماضي من جهة أخرى .

فحققت الرواية الجزائرية نجاحا كبيرا ، و قطعت أشواطا أطول في مدة قياسية ، ذلك أنها إختارت الإهتمام بالمضمون و إستقاءه من عمق المجتمع الجزائري ، و إختار رواؤها الكتابة بلغة المجتمع ، و إدماج عناصر التراث (الديني ، الأدبي ، السياسي) ، و الدلالة الموحية بالمعاني المتجددة و التي ترمي في أغلبها إلى إضاءة الجوانب المظلمة في حياة الإنسان ، و هي ليست صورة جاهزة تستعمل لإستكمال عمل إبداعي ، و لكنه إيحاء تعبيري دال على جميع أغراض الحياة التي مرَ بها الفرد ، سواء كانت سياسية أو إقتصادية أو فكرية .

و من هذا المنطلق فقد جعل الروائيون من المجتمع و التراث أداة طبيعية تساعده على إبداع عمل روائي ، يعبَر من خلاله عن أمته و شعبه .

فترسمت أمامنا مجموعة من كيفيات التوظيف و التعامل مع الشخصية التاريخية التي استخدمها الروائي . التي ساعدت على تكثيف المشاهد الفنية معمقا المضامين ، دالة على أن مبدعها الأصلي عاش أحداثها ، رابطا الشخصيات بالبيئة المعبرة عنها ، ناقدا للأوضاع الإجتماعية .

و النص الروائي إذ يستدعي هذه الشخصية ، فإنَه يستدعيها لتحقيق أبعاد جمالية ، بإعتبار أنَ توظيف التاريخ وسيلة مثلى لفهم الواقع من خلال الماضي أو نقده ، و من ناحية أخرى أسلوب جديد لبناء الرواية ، إنَنا إزاء نص روائي بأتمَ خصائصه الجمالية يأخذ من التاريخ جانبه الحي، ليقارن بين ما حدث في عهود قديمة و بين ما يماثلها في الواقع المعيش.

فالتاريخ يحضر في الرواية طبقا لمبررات فنية يختص بها المتخيل السردي و لما كانت الشخصية التراثية و التاريخية تتحول عند توظيفها داخل النص السردي إلى وحدة حية ، لا يقتصر دورها على الجانب الدلالي فقط ، بل تساهم مساهمة فعالة في التشكيل الجمالي للنص من خلال التركيز على كيفية استدعاء و توظيف الشخصيات التاريخية في المقاطع السردية المختلفة ، بحيث يصبح لهذه الآلية أي التوظيف دور فعال في إثراء النص الروائي .

كما إستطاع الروائي إدخال بعض الشخصيات الحديثة عن طريق توظيفها بصورة فنية و قدرته الأسلوبية على خلق علاقات جديدة بين الشخصيات التاريخية الموظفة و العناصر المشتركة معها في بنية النص ، سواء أكانت أحداثا أم شخصيات أخرى .

و من خلال هذا عبر عن عدة قضايا ، كقضية المجاهدين ، و ظهور بما عرف بالحركة الإسلامية في الشارع الجزائري .

كما صور حالة المثقف الجزائري الذي عان التهميش و اللامبالاة ، و بهذا بيَن أمراض المجتمع و مشكلاته و أثار الرغبة القوية في علاجها .

وسعى الروائيون إلى تأصيل الرواية العربية عن طريق توظيف الشخصيات التاريخية ، ودلَ توظيفهم للتاريخ ، على إحساسهم بأهمية حضوره الكبير و الفاعل في حياة الناس .

فعبروا من خلال هذا التوظيف عن الواقع المعيش ، وأكدوا استمرار الماضي في الحاضر ، وأسقطوا ماحدث على ما يحدث ، واتخذوا بعض الشخصيات التاريخية رموزا لشخصية الإنسان العربي في الواقع .

فترك توظيف الروائيين للشخصيات التاريخية تأثيرا في الرواية العربية المعاصرة مسَ مكوناتها، على مستوى الحدث و الحبكة و الشخصية ، كما مس الشكل الفني للرواية.

وشهدت الرواية العربية المعاصرة تطورا كبيرا وسريعا ، واكب حركة التطور و تطابقت مع معايير الخطاب الحديث ، كما لم تعد الرواية الجزائرية المعاصرة مجرد تقرير عن تجربة بل هي تصوير لتجربة توحي بمعاني إنسانية و نفسية واجتماعية وايديولوجية عامة ، حيث تتضح معانيها و معالمها ، ويظم أثرها كما تعمَق الكاتب في معالجة المشكلات والقضايا التي تهم الإنسان وتشكل حيزا من تفكيره ، كما تعد الرواية المعاصرة للباحث مادة خصبة للدراسة ، حيث تهب الرواية نفسها للمتلقي في توافق و انسجام كلَي ممَا يجعلها مادة أثيرة في الدراسات الجديدة ، وميدانا لتطبيق النظريات الحديثة .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

المصادر :

- القرآن الكريم.
- أحلام مستغانمي : ذاكرة الجسد ، دار الآداب ، بيروت ، 1999 .

: فوضى الحواس، دار الآداب ،بيروت ، ط 16 ، 2007 .

: عابر سرير ، موفم للنشر ، الجزائر ، ط3 ، 2004 .

- الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليز ، دار الهلال ، القاهرة ، 199 .

: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي : منشورات التبين ، الجزائر ، 1999

: الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2005.

- عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1983.

المعاجم :

- إبراهيم مصطفى و غيره : المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، دار العودة. .
- ابن منظور : لسان العرب المحيط ، معجم غوي علمي ، المجلد الثاني (من الراي إلى الفاء) دار لبنان العرب ، بيروت .
- جيرار جهامي : المصطلحات الفلسفية عند العرب (سلسلة موسوعات المصطلحات العربية)، ناشرون ، مكتبة لبنان .
-
- د.رفيق العجم :موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي الإسلامي ، ناشرون مكتبة لبنان ط1 ، 2000 .
- عبد المنعم الحنفي : المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، مطبوعات مدبولي ، ط3 2000 ، القاهرة .
- عبد القادر فرج و غيره : معجم علم النفس و التحليل النفسي ، دار النهضة العربية ط1 ، بيروت .

- محمد سقيف غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الأول (أ–س) دار الجيل ، 1995 .

: الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الأول (ب–ز) دار الجيل ، 1995

- المنجد في اللغة و الإعلام : جزء الأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة السادسة ، دار الجيل ، الجمعية المصرية ، 2001 .

- المراجع :

_ الأعرج واسيني : إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 .

- ابراهيم السعافين : تطور الرواية في بلاد الشام . دار المناهل ، بيروت ،1987 .
- ابراهيم عباس : تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية ، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصالا و النشر و التوزيع .

: الرواية المغاربية (تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي) ، دار الرائد للكتاب ، 2005 .

- ابراهيم عبد الله: المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص و الرؤية الدلالية) المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1990 ، بيروت .
- بهاء الدين محمد مزيد : النزعة الإنسانية في الرواية العربية و بنات جنسها ، العلم و الإمان للنشر و التوزيع ، ط1 ، الإسكنرية ، 2008 .
- أحمد سيد محمد : الرواية الإنسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب و نجيب محفوظ) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزئر .
- أحمد زلط : دراسات نقدية في الأدب المعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، اسكندرية ، 1420ه– 1999م.
- أحمد طالب : الفاعل في المنظور السيمائي (دراسة في القصة القصيرة الجزائرية) ، دار الغرب ، ط 2 ، 2002 .
- ادريس قصوري : أسلوبية الرواية (مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدن لنجيب محفوظ) ، عالم الكتب الحديث ،ط1، 2008 ، بيروت .

- حسام الخطيب: بناء الشخصية الروائية في رواية نجيب محفوظ ، دار الحداثة ،الطبعة الأولى ، لبنان .
- حسن نجمي : شعرية الفضاء (المتخيل و الهوية في الرواية العربية) ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء
- حميد لحميداني : بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ط3 ، 2000 .

: الرواية المغربية و رؤية الواقع الإجتماعي ، دار الثقافة، 1985 .

- حلمي مرزوق : مقدمة في دراسة الأدب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1980، ص 109 .
- حلمي المليجي : علم النفس الشخصية ،دار النهضة العربية ، ط1 ، 2001 ، بيروت .
- جورج لوكاتش : الرواية التاريخية (ترجمة : صالح جواد الكاظم) ، دار الطليعة ،بيروت، ط2 ، 1987 ، بيروت .
- جنيت و غيره : الفضاء الروائي (ترجمة : عبد الرحيم حزل) ، أفريقيا الشرق المغرب 2002 .
- روجرب هيكل : قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير : ترجمة و تقديم و تعليق دكتور ملاح رزق) ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة.
- سعاد عبد الله العنزي : صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دراسة نقدية ، دار الفراشة للطباعة و النشر ، ط1، الكويت ، 2010.
- سعد أبو الرضا : معالجة النص في الكتب الموازنات التراثية (منهج و تطبيق) ، منشأ المعارف ، الإسكندرية.
- سعد الله محمد غانم ، أطياف النص (دراسات في النقد الاسلامي المعاصر) ،عالم الكتاب الحديث ،2000 .
- سعد الله أبو القاسم : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .
- سعيد بن كراد : سيمولوجية الشخصيات السردية (الرواية الشراع و العاصفة) ، دار مجدلاوي ، الأردن 2003 .

- سعيد جبار : الخبر في السرد العربي (الثوابت و المتغيرات) ، شركة المكتبة الأدبية ، الدار البيضاء .
- سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1 ، 1989 .

: قال الراوي (البنيان الحكائية في السيرة الشعبية) ، المركز الثقافي العربي ط1 ، 1997 ، الدار البيضاء

- سهير كامل أحمد : سيكولوجية الشخصية ، مركز الأسكندرية للكتاب ، مصر .
- سيد حامد النساج : بحوث و دراسات مكتبة غريب ، ط2 ، الفعالة .

:بانوراما الرواية الحديثة ،المركز العربي للثقافة و العلوم، ط1 ، القاهرة ، 1932.

- عبد الرحمن ياغي : في النقد التطبيقي مع روايات من العالم العربي ، منشورات أمانة عمان الكبرى ، ط1 (1422هـ-2001 م) ، عمان .
- عبد العالي بشير : تحليل الخطاب السردي و الشعري ، دار الغرب للنشر ، ط1، 2002 الجزائر
- عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 .

: تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سميائية مركبة لرواية زقاق المدن) ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1995

- عبد المناف حسين الجادري : الطب النفسي للجميع ، الدار الوطنية للنشر و التوزيع و الإعلان ، الجزائر .
- عبد الله ركيسي : تطور النثر الجزائري الحديث – الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، 1983
- عبد الله الغدامي : الخطيئة و التكفير ، منشورات النادي الثقافي ، جدة ، ط1 ، 1985.
- عمر وعلان : الإيديولوجية وبنية الخطاب (دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة) ، منشورات جامعة منشوري ، قسنطينة ، 2004.
- عز الدين اسماعيل : الأدب و فنونه دراسة و نقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- عزيزة مريدان : القصة و الرواية ، دار الفكر ، دمشق.
- فيصل دراج : دلالات العلاقة الروائية ، مؤسسة عيبال ، ط1 ، 1992 .

- فيليب هامون : سميلوجية الشخصيات الروائية ، ترجمة سعيد بن كراد ، دار الكلام الرباط ، 1990 .
- محبة حاج معتوق : آثار الرواية الواقعية العربية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1، 1934 .
- محمد بشير بويجرة : بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ، الطبعة الثانية ، 2006 .

:بنية الزمن في الخطاب الروائي (70–86) ، الجزء الثاني منشورات دار الأديب .

- محمد حسن غامري : المدخل الثقافي في دراسة الشخصية ، المكتب الجامعي الحديث اسكندرية ، 1989 .
- محمد حسن غانم : دراسات في الشخصية و الصحة النفسية ، دار غريب ، القاهرة ، الجزء الأول ، 2006 .
- محمد حلمي القاعود : الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية) ، دار العلم و الإيمان ، 2008 .

: الرواية الإسلامية المعاصرة (دراسة تطبيقية) ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، 2000 ، دسوق.

- محمد الداهي : سيمائية السرد (بحث في الوجود السيميائي المتجانس) ، رؤية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2009 ، القاهرة
- محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية – منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002
- محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة (أصولها اتجاهاتها أعلامها – منشأ المعارف الإسكندرية
- محمد العابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر – دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط1 ، 1999 .
- محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب ط2 ، 1934 .

: القصة القصيرة العربية الجزائرية في عهد الإستقلال – المكتبة الشعبية ، الجزائر ، 1982 .

:الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الإلتزام، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

- محمد كامل الخطيب : الرواية و الواقع – دار الحداثة ، ط1 ، 1981
- محي الدين صبحي : البطل في مأزق (دراسة في التخيل العربي)) دراسة في التخيل العربي) – منشورات إتحاد الكتاب ، دمشق ، 1979 .
- مخلوف عامر : توظيف الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة) منشورات دار الأديب ، 2005 .
- مخلوف عامر : الرواية و التحولات في الجزائر ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، 2000 ص 88.
- مصطفلى الكيلاني :الرواية و تأويل التاريخ (سردية المعنى في الرواية العربية) دار أزمنة ، ط1 ، الأردن ، 2009 .
- ملاح بناجي : آليات الخطاب النقدي المعاصر في مقارنة لاقصة الجزائرية (دراسة في قراءة القراءة) ، دار الغرب للنشر و التوزيع – جامعة سيدي بلعباس ، 2002
- ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة (ترجمة : فريد أنطونيوس) – دار منشورات عويدات ، بيروت ن ط1 ، 1971
- نجم عبد الله كاظم : الرواية العربية المعاصرة و الأحر ، دراسات أدبية مقارنة . عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007.
- نضال الشمالي :الرواية و التاريخ ، (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2006 .
- وندر فريد هوبر : مدخل إلى سيكولوجية الشخصية (ترجمة :د.مصطفى عشري) ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون الجزائر
- يمنى العيد : في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي) – دار الآداب – ط3 ، 1999، بيروت .

: دلالات النمط السردي في الخطاب الروائي تحليل رواية (رحلة غاندي الضمير) – ملتقى السيمائية و النص الأدبي ، عنابة ، 1955

الدوريات و المجلات :

- مجلة عالم الفكر : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، المجلد الثامن و العشرون ، العدد الأول ، الكويت ، سبتمبر 1999.
- مجلة فكرية سداسية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية و الإنسانية بجامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية ، العدد 2 – دار الهدى للطباعة و النشر ، عين مليلة، نوفمبر 2004 .
- الملتقى الدولي الثامن للرواية(عبد الحميد بن هدوقة) : دراسات و ابداعات ، دار الأهل ، الجزائر .
-
- الدكتور عميراوي احميدة : أعمال الندوة العلمية ، الأمير عبد القادر و تيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر ، دار الهدى للطباعة و النشر ، عين مليلة ، 1427ه– 2006 م.

الرسائل الجامعية :

_ علال سنقوفة :إشكالية السلطة في الرواية الجزائرية (رسالة دكتوره)، اشراف الدكتور نور الدين السد ، السنة الجامعية 1996–1997.

_ محمد بلعربي : الأمير عبد القادر بين الأسطورة و التاريخ (رسالة ماجستير) اشراف الدكتور مصطفى أوشاطر ، سنة 2007–2008.

_ علا عبد الرزاق : رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " (دراسة و تحليل) رسالة ماجستير ، اشراف الدكتور عبد العالي بشير ، سنة 2008–2009.

فهرس الموضوعات

الفـــهرس

مقدمة أ

مدخل 6

الفصل الأول : التاريخ

المبحث الأول : الرواية و التاريخ 21

1-الرواية العربية 21

2-الرواية الجزائرية 26

المبحث الثاني : الكاتب و التاريخ 35

1_الطاهر وطار 37

2_أحلام مستغانمي 41

3-عبد الحميد بن هدوقة 44

الفصل الثاني : الشخصيات الفاعلة و المساهمة و في البناء السردي

المبحث الأول : الشخصية السياسية الدينية 51

1- الجازية 52

2- خالد بن طوبال 65

3- الولي الطاهر 57

4- بلارة 62

المبحث الثاني : الشخصية الثقافية(فكرية و أدبية 65

1-عبد الرحيم فقراء 65

2- الشاعر 66

الفصل الثالث : الشخصيات المرجعية في الخطاب السردي

المبحث الأول : الشخصية السياسية الدينية 69

1- خالد بن الوليد 71
74
2- هارون الرشيد 74
3- مالك بن نويرة 75
76
4- بلارة 78
5- عمر بن الخطاب 82
6- الأمير عبد القادر 83
86
7- ماسينيسا 87
8- كليوباترا
9 –الخيزران 84
10 - الجازية 85
المبحث الثاني : الشخصية الثقافية 89
1-محمد العيد آل خليفة 89
94
2- عبد الرحيم فقراء 98
3 – مالك حداد
الخاتمة 106
قائمة المصادر و المراجع 110
الفهرس 119

Résumé :

Le roman personnel historique qui a un sens dans le texte, est employé pour lire l'histoire à partir de cet emploi. Elle est employé par des romanciers algériens comme : Tahar watar Abdel amide benhadouga et Ahlam Mousteghanemi.
Mots Clet: Roman, Histoire, personnalité,

Summary:

The personnel historians novel which has a mean in the text is employed to read the history .It was written by Algerians novelists like Taher water ,Abdel amide Ben hadouga and Ahlam Moustaghanemi .
Key words: Novel, History, Personality

ملخص :

توظف الرواية الشخصية التاريخية التي تأخذ دلالات في النص حتى نتمكن قراءة التاريخ من خلال هذا التوظيف ، من قبل روائيين جزائريين ، مثل : الطاهر وطار ، عبد الحميد بن هدوقة ، و أحلام مستغانمي .
الكلمات المفتاحية : الرواية ، التاريخ ، الشخصية . .

الملخص

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب الخلق الطاهر ، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه و من ولاه إلى يوم الدين .

تتربع الرواية الجزائرية على مكانة مرموقة ، و تحمل قضايا متشعبة ، و هي منذ طور تكوينها تحمل صوت الأديب و آلام الشعوب التي لاطالما كانت من الإستعمار الأجنبي ، الذي عمل على طمس هويتها ، و بهذا ذاع صيت الرواية الجزائرية و بلغ كل الأقطار العربية . و مما زاد في شهرتها أنَها ترعرعت على أيدي روائيين كبار و عظماء ، أمثال عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار ، و رشيد بوجدرة ، و واسيني الأعرج و غيرهم .

كما استطاعت أن تفرض وجودها ضمن أهم الفنون الأدبية الأخرى في العالم العربي ، و هنا راجع إلى استعابها للأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي ، و كذلك لإرتباطها بالتحولات المتعلقة بالجوانب الإجتماعية و السياسية و الثقافية و الإقتصادية .

و بما أنَ الكاتب أو الروائي يعيش في هاته التحولات فإنَه سينقلها في كتاباته و ابداعاته، حيث ساهم العديد من الروائيين الجزائريين في إثراء هذا الفن "الرواية" و ذلك من خلال كتاباتهم المتعددة و المتنوعة ، إذ لعب كل من عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار و أحلام مستغانمي دورا هاما في هذا المجال و ذلك مما أنتجوه من روايات لقيت إقبال كبار المثقفين و النقاد و الذي تناولوها بالنقد و التحليل .

ثمَ إن كل مضمون لا بد و أن يفرض شكلا خاصا به ، و الشخصية مهما اختلفت و تنوعت فإنَها مضمون يفرض شكله الخاص . و هذا الأمر ستتضاعف مسؤوليته إن كان المضمون منجزا في التاريخ ، و على الأديب أن يتعامل معه ضمن هذا المعطى ، فيتمَ اظهار الشخصية التاريخية التي تتحول عند توظيفها داخل النص السردي حيث لا يقتصر دورها على الجانب الدلالي فقط ، بل تساهم في الشكل الجمالي للنص من خلال التركيز على كيفية توظيف

الشخصيات التاريخية في المقاطع السردية المختلفة و علاقتها مع العناصر الأخرى المشتركة معها في بنية النص ، سواء أكانت أحداثا أم شخصيات أخرى لمعرفة طرق توظيف الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية .

وإذا كانت دوافع البحث العلمي قد فرضت بحثنا هذا ، فإن من وراء تلك الدواعي أسبابا أخرى تدفع الفرد أن يسلك هذا الطريق من خلال تلك البحوث العلمية الثقافية ، التي تغذي فكره و تساعده في تشكيل موهبته .و من هذا المنطلق ارتأيت أن تكون دراستي " للشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية و هويته الانتماء ".

أما أسباب إختياري للروايات ، فيعود إلى اهتمامي بالرواية العربية و مدى تجسيد ظاهرة هذا التوظيف و كيفية التعامل مع النص من خلال الشخصيات المختلفة ، و قد اخترت نموذج الدراسة بعد صعوبة لتعدد الروايات و اعتمدت النصوص التالية : "الجازية و الدراويش " لعبد الحميد بن هدوقة ، و " فوض الحواس " و " ذاكرة الجسد " و " عابر سرير " لأحلام مستغانمي ،" و الشمعة و الدهاليز " و " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " و " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " لطاهر وطار .

تبحث الدراسة في آلية التعامل مع الشخصية التاريخية في العمل الروائي من حيث نموها و تسطيحها ، حيث أنَ الشخصية التاريخية شخصية مثبتة يصعب تحميلها بأكثر مما أسنده إليها التاريخ ، إذ لا بد من أسباب تدفع بالروائيين إلى توظيف التاريخ و تسخيره في أعمالهم الروائية ضمن إعادة صياغة التاريخ فنيا ، و من ثم كشف المسكوت عنه ، أو امقارنة ما كان في الماضي و ما يكون الآن .

وقد حاولت الإستفادة من المنهج الوصفي التحليلي في دراستي ، للوقوف على تجليات توظيف الشخصيات،الذي ساعدني على دراسة الروايات ، و إبداء رأيي في ما جاء فيها ، راجية أن أكون قد وفقت بعض التوفيق في الكشف عن جانب من جوانب الشخصية الروائية ،

و قد قامت إشكالية هذا البحث على سند يعتمد التساؤل لتحقيق الإطار النظري و التطبيقي للموضوع ، وفق حوار يتكىء على جملة من الأسئلة منها :

- ما مدى توظيف الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية ؟
- ما الشخصيات الفاعلة و المرجعية في الخطاب ؟

أما خطة البحث فقد وجدت صعوبة في وضعها ، و فضلت اعتماد أنواع الشخصيات لدراسة الأنواع الموظفة ، و بناء عليه قسمت البحث إلى ثلاثة فصول و مقدمة و مدخل و خاتمة .

تناولت في المدخل مفهوم الشخصية ، بإعطاء صورة عن مفهوم الشخصية في اللغة و عند علماء النفس و علماء الإجتماع مع تعاريف لبعضهم ، ثمَ مفهومها في الدراسات المعاصرة خاصة عند " فلادمير بروب " " تودروف " مع التركيز على مقترحات فيليب هامون و الإشارة إلى تصنيف الشخصيات.

خصصت الفصل الأول من البحث ، لدراسة التاريخ و الرواية من خلال مبحثين ، المبحث الأول تعرضت إلى علاقة الرواية بالتاريخ، حين اتخذت الرواية العربية كتابات ذات طابع تعليمي ، واعتمدت الوعظ و الإرشاد ، ومع قدوم النصف الأول من القرن العشرين بدأ توظيف التاريخ يتسرَب إلى الكتابة الروائية بشكل أوضح ، متأثرين بحكايات " ألف ليلة و ليلة " . فالبدايات الأولى للرواية لم تقف عند حد ، بل اجتهد الروائيون في ربط أعمالهم بالواقع الذي برز فيه صوره المختلفة المعبَرة عن جوانب عديدة من المجتمع. و الأدب الجزائري يشبه كل حديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئته الوطنية ، فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف و المشكلات التاريخية و الفكرية التي عاشها الأدب العربي، بحيث و صلت الكتابة الروائية إلى ظاهرة توظيف التاريخ و تمتد أحيانا إلى التراث العربي الإسلامي، حيث الدين و التاريخ الإسلامي يحضران في المقال الأول وذلك كان هو ميدان الروائي الجزائري الذي خلق

منه نماذج روائية يحاول من خلالها أن يعالج أفكارا و قضايا حساسة ، و صراعا بين القديم و الجديد .ومن هنا نتج لدى الروائي ، احساس قوي بكثافة هذا الواقع و الذي من سماته ، انبهار الفرد الجزائري بماضي الأجداد المشرقة ، فانفجرت العملية الإبداعية لديه ، التي دفعته إلى أن يلجأ إلى الشخصية الرمزية ، التي أصبحت علامة بارزة في طريق بناء معمار روائي أصيل ، ترقى به الرواية الجزائرية إلى مصاف النماذج العربية و العالمية. والنص الروائي إذ يستدعي هذه الشخصية التاريخية فإنَه يستدعيها لتحقيق أبعاد جمالية من استخدام هذه المرجعية في فهم متناقضات الحياة و استلهام قصتها.

أما المبحث الثاني تعرضت لعلاقة الكاتب بالتاريخ ، فالمبدع لا يستطيع أن يبدع من الفراغ، و إنَما ثمَة مجموعة من المنطلقات يرتكز عليها مثل اللغة و الأفكار و العادات و التقاليد و التراث بصفة عامة، لأنَ الأديب يستفيد من النصوص الإبداعية من غيره كما يقوم بتوظيف الشخصيات التاريخية و الواقعية و الفنية و غيرها، ليس سبيل التكرار أو الإعادة ، و إنَما لإعطائها أبعادا دلالية و جمالية جديدة تخدم فكرة و موقف المؤلف ،و في هذا الإطار كثير من كتاب الرواية وظَفوا الشخصيات التاريخية و الأدبية و الفنية في النصوص السردية مضيفا عليها خياله و أفكاره و رؤاه الفنية و الثقافية. والطاهر وطار أحد الأصوات المتميزة في مجال الرواية العربية وتوظيفه للشخصيات ، مستهدفا الكشف عن الجوانب المشرقة في هذا التراث والتأصيل لفنون الأدب الحديثة، فكان التراث المحلي هو الغالب، و كانت حرب التحرير هي الصورة الأولى التي ترتسم في الأذهان. ثم انتقلت الكتابة الروائية لتطال التراث العربي الإسلامي، حاولت من خلاله الرواية الجزائرية تقريب الماضي بالحاضر ، وذلك بإيصال أفكار الروائي للقارىء عن طريق الكتابة الروائية ، وخاصة الكتاب الجزائريين أمثال أحلام مستغانمي وذلك لما يقدمونه من مضامين ، ونظرا لطبيعة المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية ، فقد أعادت بعث عناصر تراثية بارزة في تاريخ الأداب العالمية، كما عرفت

الرواية الجزائرية الأسطورة بشكل موسع و يرجع الفضل في ذلك إلى الكتاب الروائيين الجزائريين، أمثال عبد الحميد بن هدوقة الذي ساهم في اثراء الرواية الجزائرية بالأسطورة التي تزيد من عمق الدلالة و الإيحاء كما يضفي عليها الطابع الفني .

في الفصل الثاني تناولت الشخصية السياسية و الدينية ، حيث بيَنت الشخصيات الفاعلة في الروايات ، في المبحث الأول تناولت الشخصية التاريخية سواء كانت سياسية أو دينية ، أولا الجازية الشخصية التاريخية و الأسطورية من خلال رواية" الجازية و الدراويش" لعبد الحميد بن هدوقة. وبما أنهَ ركَز على الأسطورة حتى يعمق الدلالة الرمزية أكثر ، فإنَه قد أحاطها بأجواء وأحداث لشدَ انتباه القارىء ، و بذلك تكون الشخصية قد نالت لدى الروائيين الجزائريين اهتماما كبيرا ، خاصة حول المضامين التي كانت تحملها ، كما اهتمت بإعطائها ، أبعادا عميقة في الدلالة و الرمز . ثانيا شخصية خالد بن طوبال التي كانت بالنسبة إلى أحلام مستغانمي شخصية روائية تنتمي إلى الفئات الثلاث حسب تصنيف هامون السيميولوجي.أما ثالثا الشخصية السياسية و الدينية الولي الطاهر،التيَ قدَمها لنا المؤلف في روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" على أنَها الشخصية الفاعلة، حيث نتعرف على الولي الطاهر أولا و من خلاله نتعرف على الشخصيات الأخرىو بلارة هاته الشخصية التاريخيةو الدينية هي جزء من الحدث، استدعاها أو وظَفها الطاهر وطار في روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، فكانت تابعة للشخصية الرئيسية و مرآة لها ،أي للولي الطاهر.

و المبحث الثاني تعرضت للشخصية الثقافية من خلال عدد من الروايات ، أولا " عبد الرحيم فقراء" الشخصية الفاعلة في رواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"، الشخصية الإعلامية التي تحضر في كل مكان ،قد تمَ توظيفه بطريقة ذكيَة من طرف الكاتب، فمن خلاله حاول أن يعبَر عن آراءه و أفكاره و ذلك بتمريرها عبر هذا الإسم من دون أن تظهر لنا شخصيته بشكل واضح . والشخصية الثانية هي شخصية الشاعر في رواية" الشمعة و الدهاليز" للروائي طاهر

وطار ، الشخصية المركزية في الرواية، شاعر و عالم اجتماع البطل الذي أصبح معروفا فيما بعد ب (هارون الرشيد) ،لا يكف عن تدعيم أحاديثه و تداعياته بحكم المتصوف و أقوال المعتزلة و أقوال حمدان قرمط ، وأبو ذر الغفاري.

خصصت الفصل الثالث للشخصيات المرجعية في الخطاب السردي ،أولا شخصية خالد بن الوليد شخصية تاريخية إسلامية بطولية، استدعاها الطاهر وطار من خلال حادثة مقتل مالك بن نويرة من طرف خالد بن الوليد، فهو لم يستحضر الخطاب التاريخي كما هو ، و إنَما انطلق منه ليكتب روايته محاولا البحث عن جذور الأمة الجزائرية بل العربية الإسلامية ككل . ثانيا شخصية هارون الرشيد ، يقتحم الروائي التاريخ، ليوظف شخصية هارون الرشيد ، يسعى من خلالها إلى التعبير عن الأوضاع المستقبلية التي تعيشها الجزائر ، هذه الشخصية الدينية و التاريخية التي تشكل الهاجس المركزي في المتخيل السردي ، فهارون الرشيد في أحداث الرواية وفي عزلته ((اسلامي ، ملحد ، عميل أجنبي ، متآمر على فرنسا ، عاهر و مجنون ..)) . ثالثا مالك بن نويرة الذي كان يدَعي الإسلام في حياة الرسول –صلى الله عليه و سلم– لكن بعد وفاته ارتدَ ، وهذا الذي دفع بخالد بن الوليد إلى قتله . كمايوظَف شخصية تاريخية و هي شخصية " بلارة " التي أوقفت الحرب القائمة بين " بني مالك الناصر" وابن عمَه"تميم بن المعز" بقبولها الزواج مع المالك الناصر من أجل حقن الدَماء .ورابعا شخصية عمر بن الخطاب و هو صحابي و قائد محارب ، اتَسم بالقوَة حتَى أنَه كنَي بعمر الفاروق ، لقد أدرج الكاتب هذه الشخصية من خلال حديثه عن موقفه ، حيث أمر بقتل خالد بن الوليد قصاصا لأنَه تسَرع في قتل مالك بن نويرة في حين رأى أبو بكر الصديق –رضي الله عنه – بأنَ خالد قد اجتهد وأخطأ فله أجر الإجتهاد، وقد استحضر الكاتب قصة سيدنا– موسى عليه السلام –في الصحراء من مصر إلى مدين، هروبا من ظلم فرعون و هي نفس الحالة التي عانى منها الولي الطاهر لكنَه لم يجد ضالته مثل سيدنا موسى عليه السلام، بل بقي تائها. كما استحضر دعاء

سيدنا–نوح عليه السلام– إلى سفينته، حين ركب الولي الطاهر "العضباء" متوجَها نحو المقام و قصة سيدنا آدم وحواء عندما أغوته بأكل التفاحة ، و هو نفس ما فعلته "بلارة" عندما راحت تغوي الولي الطاهر. خامسا شخصية الأمير عبد القادر ، إنَ توظيف هذه الشخصية في مسار النص الروائي كون مقاومة الأمير عبد القادر منارة في تاريخ الجزائر الحديث، فهي من المرجعيات التي يستلهم فيها الجزائري أصالته واعتزازه ،أيضا إشارة قوية إلى تعلق الجزائري بدينه، فعندما يتعلق الأمر بالرواية في الجزائر ، فإنَ توظيف الدين لم يتخلص من النبرة السياسية وخاصة عند "الطاهر وطار" الذي حرص في أعماله على تجسيد الصراع السياسي الحاصل في الواقع ، وردت أسماء أخرى في مواقع مختلفة طارق بن زياد، موسى بن نصير، خالد بن الوليد، أبوذرالغفاري ، عثمان بن عفان، معاوية بن أبي سفيان، عمر بن العاص ،طلحة و الزبير بن العوام ،عمر بن الخطاب ، هارون الرشيد . سادسا ذكرت الشخصية التاريخية و السياسية ماسينيسا في رواية" الشمعة والدهاليز" لطاهر وطار على لسان زهيرة تعبيرا منها عن مدى تأثَرها بشخصية الشاعر المثقَفة، كما أوردت الكاتبة أحلام مستغانمي في ثلاثيتها و خاصة في قواض الحواس الشخصية التاريخية كليوباترا، فحرب التحرير تركت بصماتها على سائر الروايات، و لكنَ حضور صورة الحرب يختلف من كاتب إلى آخر، إذا تتبعنا البطلة أحلام وجدناها تقارن بين هيئتها و هيئة جميلة بوحيرد هاته الشخصية الثورية ،فكلتاهما تقوم بعمل بطولي . فحين كانت جميلة بوحيرد تلبس لباس أوربيا سافرا في جزائر الخمسينات المحافظة، لتخادع الفرنسي و لتؤمن النجاح لعمليتها الفدائية المشهورة في مقهى (سيلك بار)، تأتي بطلة فوض الحواس في ثياب التقوى (العباءة و الشال) تمويها ،لتقوم بأكبر عملية تقوم بها امرأة في جزائر التسعينات، و هي عملية حب.

عاشرا وردت الشخصية التاريخية الخيزران في رواية "الشمعة و الدهاليز " حين تعرَف الشاعر و الأستاذ الجامعي على شخصية الفتاة زهيرة و التي وردت باسم الخيزران في مواقع

سردية أخرى ، كما ورد الشاعر باسم هارون الرشيد في مواقع أخرى من الرواية. والشخصية التاريخية الأسطورية الجازية التي وظفت في رواية "الجازية و الدراويش " للروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقةهاته الشخصية الفاعلة و المرجعية ، وهي عبارة عن عمل فنَي جريء يجمع بين سمات الرواية السياسية المعاصرة و الأسطورة الشعبية القديمة ، بين الواقع و الأسطورة.

و المبحث الثاني تناولت الشخصية الثقافية سواء كانت فكرية أو أدبية ، أولا محمد العيد آل خليفة هذه الشخصية الفكرية ذكرت في رواية "الشمعة و الدهاليز" على لسان الشاعر كما ورد ذكر حافظ ابراهيم ومعروف الرصافي،و امرىء القيس و كعب بن زهير ، و المتنبي و أبا فراس الحمداني. فالشاعر يتحين الفرص لإيرادها سواء كانت ثقافية عربية إسلامية أو غير عربية، فهو في كل لقاء مع الشخصيات الأخرى يدرج ضمن حديثه إشارة إليها و كثيرا ما يعمد إلى ذكرها مجموعة دفعة واحدة.

وثانيا شخصية مالك حداد التي أهدت أحلام مستغانمي روايتها "ذاكرة الجسد " إليه ،وشخصية " ميشيما " الياباني الذي انتحر استنكارا لهزيمة اليابان على يد أمريكا ، وانتحار خليل حاوي الشاعر اللبناني لحصار بيروت من قبل إسرائيل عام 1982 ،لأنه لا يريد أن يقاسم الاسرائليين هواء وطنه ، فكثيرا ماعمد الروائيون إلى سرد أقوال الشخصيات الأدبية ، ولا سيما تلك الأقوال الشهيرة التي تحتل حيَزا كبيرا عند القراء وهذا يظهر في ثلاثية أحلام مستغانمي التي جاءت مليئة بالشخصيات الأدبية و الفكرية الغربية الموظفة ببراعة منها قول أندري جيد. كما استدعت الرواية أكثر من شخصية سواء كانت عربية أو غير عربية عظيمة تاريخية وفلسفية كا : بودلير ، هنري ميشو ، رولان بارث ، اندريه جيد ، بوخريص شانيل ، كليو باترا نابليون جوزيفين ...و عربية مثل : محمود درويش ، جميلة بوحيرد ، جبرا خليل جبرا الخنساء، الشافعي ...

لذلك نستطيع عبر هذه الشخصيات، إبراز قدرة الروائية المعرفية على جغرافية الثقافية والفكر. وبعد فليس المهم في العمل الروائي أن تكون الشخصية التاريخية فاعلة أو مرجعية في العمل الروائي ، بل المهم كيف توظف في العمل الروائي وماهي المهام التي يمكن أن توكل إليها.

ثم أنهيت البحث بخاتمة تعرضت خلالها إلى أهم النتائج التي تحصلت إليها أهمها أنَ الرواية جنس أدبي متحول يخضع إلى مجموعة من الدوافع و العوامل ، تجعل الأدب ينقل ما يتعرض له مجتمعه إلى كتاباته ، لأنَ الكاتب الروائي لا يكتب لنفسه ، بل يعمل دائما على ايجاد الصلة بينه و بين أفراد مجتمعه . بحيث توجه بعض الروائيين إلى توظيف التراث بهدف تأصيل الرواية العربية من جهة ، وإعادة قراءة التراث من جديد في ضوء المستجدات الراهنة التي فرضت على الذات مراجعة الماضي من جهة أخرى .

فحققت الرواية الجزائرية نجاحا كبيرا ، و قطعت أشواطا أطول في مدة قياسية ، ذلك أنها إختارت الإهتمام بالمضمون و إستقاءه من عمق المجتمع الجزائري ، و إختار رواؤها الكتابة بلغة المجتمع ، و إدماج عناصر التراث (الديني ، الأدبي ، السياسي) ، و الدلالة الموحية بالمعاني المتجددة و التي ترمي في أغلبها إلى إضاءة الجوانب المظلمة في حياة الإنسان ، و هي ليست صورة جاهزة تستعمل لإستكمال عمل إبداعي ، و لكنَه إيحاء تعبيري دال على جميع أغراض الحياة التي مرَ بها الفرد ، سواء كانت سياسية أو إقتصادية أو فكرية .

و من هذا المنطلق فقد جعل الروائيون من المجتمع و التراث أداة طبيعية تساعده على إبداع عمل روائي ، يعبَر من خلاله عن أمته و شعبه .

فترسمت أمامنا مجموعة من كيفيات التوظيف و التعامل مع الشخصية التاريخية التي استخدمها الروائي . التي ساعدت على تكثيف المشاهد الفنية معمقا المضامين ، دالة على أن مبدعها الأصلي عاش أحداثها ، رابطا الشخصيات بالبيئة المعبرة عنها ، ناقدا للأوضاع الإجتماعية .

و النص الروائي إذ يستدعي هذه الشخصية ، فإنَه يستدعيها لتحقيق أبعاد جمالية ، بإعتبار أنَ توظيف التاريخ وسيلة مثلى لفهم الواقع من خلال الماضي أو نقده ، و من ناحية أخرى أسلوب جديد لبناء الرواية ، إنَنا إزاء نص روائي بأتمَ خصائصه الجمالية يأخذ من التاريخ جانبه الحي، ليقارن بين ما حدث في عهود قديمة و بين ما يماثلها في الواقع المعيش.

فالتاريخ يحضر في الرواية طبقا لمبررات فنية يختص بها المتخيل السردي و لما كانت الشخصية التراثية و التاريخية تتحول عند توظيفها داخل النص السردي إلى وحدة حية ، لا يقتصر دورها على الجانب الدلالي فقط ، بل تساهم مساهمة فعالة في التشكيل الجمالي للنص من خلال التركيز على كيفية استدعاء و توظيف الشخصيات التاريخية في المقاطع السردية المختلفة ، بحيث يصبح لهذه الآلية أي التوظيف دور فعال في إثراء النص الروائي .

كما إستطاع الروائي إدخال بعض الشخصيات الحديثة عن طريق توظيفها بصورة فنَية و قدرته الأسلوبية على خلق علاقات جديدة بين الشخصيات التاريخية الموظفة و العناصر المشتركة معها في بنية النص ، سواء أكانت أحداثا أم شخصيات أخرى .

و من خلال هذا عبر عن عدة قضايا ، كقضية المجاهدين ، و ظهور بما عرف بالحركة الإسلامية في الشارع الجزائري .

كما صور حالة المثقف الجزائري الذي عان التهميش و اللامبالاة ، و بهذا بيَن أمراض المجتمع و مشكلاته و أثار الرغبة القوية في علاجها .

وسعى الروائيون إلى تأصيل الرواية العربية عن طريق توظيف الشخصيات التاريخية ، ودلَ توظيفهم للتاريخ ، على إحساسهم بأهمية حضوره الكبير و الفاعل في حياة الناس .

فعبروا من خلال هذا التوظيف عن الواقع المعيش ، وأكدوا استمرار الماضي في الحاضر ، وأسقطوا ماحدث على ما يحدث ، واتخذوا بعض الشخصيات التاريخية رموزا لشخصية الإنسان العربي في الواقع .

فترك توظيف الروائيين للشخصيات التاريخية تأثيرا في الرواية العربية المعاصرة مسَ مكوناتها، على مستوى الحدث و الحبكة و الشخصية ، كما مس الشكل الفني للرواية.

فشهدت الرواية العربية المعاصرة تطورا كبيرا وسريعا ، واكب حركة التطور و تطابقت مع معايير الخطاب الحديث ، كما لم تعد الرواية الجزائرية المعاصرة مجرد تقرير عن تجربة بل هي تصوير لتجربة توحي بمعاني إنسانية و نفسية واجتماعية وايديولوجية عامة ، حيث تتضج معانيها و معالمها ، ويظم أثرها كما تعمَق الكاتب في معالجة المشكلات والقضايا التي تهم الإنسان وتشكل حيزا من تفكيره ، كما تعد الرواية المعاصرة للباحث مادة خصبة للدراسة ، حيث تهب الرواية نفسها للمتلقي في توافق و انسجام كلَي ممَا يجعلها مادة أثيرة في الدراسات الجديدة ، وميدانا لتطبيق النظريات الحديثة .

و زودت البحث بقائمة المصادر و المراجع ، فمن الطبيعي أن يتطلب موضوع كهذا قراءة مصادر و مراجع متنوعة الموضوعات و الإختصاصات ، واعتمدت في ذلك بالدرجة الأولى على المصادر المتمثلة في "الجازية و الدراويش " لعبد الحميد بن هدوقة ، و" الشمعة و الدهاليز" ، "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ، "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " لطاهر وطار ، و "ذاكرة الجسد " ، "فوضى الحواس " ، " عابر سرير " لأحلام مستغانمي ، ويعض المراجع نذكر منها مخلوف عامر "توظيف التراث في الرواية الجزائرية "، محمد بشير بويجرة "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية " ، حميد لحميداني " بنية النص السردي (من المنظور النقدي)" ، عبد المالك مرتاض" في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ".

و رغم كل الصعوبات التي واجهتني أثناء إشتغالي على هذا البحث إلا أنَني استطعت أن أتجاوزها بفضل الأستاذ المشرف الذي يرجع له الفضل في إعطاء البحث حياة جديدة ، فإليك الشكر أستاذي الدكتور سعيدي محمد، كماأتقدم بالشكر لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ، والذين تقبلوا عناء قراءة هذا البحث و تقويمه و تقييمه .

ختاما أتمنى أن يكون بحثي هذا قد تم الإحاطة بكل ما سطرت له ، و إن نقص من بعض الأشياء في بعض الأحيان، فالدراسة لا يمكن أن تكون نهائية ، إذ يمكن لقارئ آخر أن يعيد دراسة و تحليل هذه الشخصيات ، كما لا يمكن لحال من الأحوال استعاب جميع امكانات النص الأدبي و حصر جميع أبعاده .

و الله ولي التوفيق .